المعهد السوري للسلام
SYRIAN INSTITUTE FOR PEACE

كيف أضحى الجهاد العالمي محلياً مرة أخرى؟ وإلى أين يقود ذلك؟

دراسة حالة هيئة تحرير الشام
الفرع السابق للقاعدة في سوريا

جيرون دريفون وباتريك هاني
(Jerome Drevon and Patrick Haenni)

EUI
European University Institute

قام بترجمة هذه الدراسة:

المعهد السوري للسلام
SYRIAN INSTITUTE FOR PEACE
@Syrian_inst_for_peace

تتم إعادة تنظيم المناطق التي تحكمها المعارضة السورية. أفسحت الثورة التي بلا قيادة المجال للاستيلاء على السلطة من قبل المنظمات الطليعية والأيديولوجية، سواء كان حزب الاتحاد الديمقراطي في الشمال الشرقي أو هيئة تحرير الشام، الفرع المحلي السابق للقاعدة في إدلب. ومع ذلك، لا تستطيع هذه المنظمات مقاومة التهديد العسكري للنظام بإعادة احتلال الأراضي أو التدخل التركي بنفسها. إنهم بحاجة إلى إدارة تدويل الصراع، لحماية أنفسهم وإيجاد مساحة في اللعبة الإستراتيجية الأوسع حول سوريا. هذه هي استراتيجية هيئة تحرير الشام. بعد الخروج من رحم الجهاد العالمي للقاعدة، سعت هيئة تحرير الشام منذ عام 2017 إلى "إضفاء الطابع المؤسسي" على الثورة من خلال فرض هيمنتها العسكرية والسيطرة الكاملة على مؤسسات الحكم المحلي. وبالتالي، همّش التنظيم الوسط الثوري والإسلاميين الآخرين والتهديد الذي يشكله أنصار القاعدة وخلايا داعش في إدلب. تبعت سيطرة هيئة تحرير الشام سياسة الانفتاح والتعميم التدريجي. كان على المجموعة الانفتاح على المجتمعات المحلية وتقديم تنازلات، لا سيما في المجال الديني. تسعى هيئة تحرير الشام إلى قبول دولي مع تطوير شراكة إستراتيجية مع تركيا وترغب في فتح حوار مع الدول الغربية. بشكل عام، تحولت هيئة تحرير الشام من كونها منظمة جهادية سلفية في السابق إلى تيار رئيسي جديد للإسلام السياسي.

الكلمات المفتاحية:

إدلب، السلفية، هيئة تحرير الشام، جهاد، الراديكالية، الإسلام السياسي

– الفهرس –

مقدمة: الفائزون غير المرغوب بهم أثناء البحث عن "سياسة الهدنة" 3

1–مشروع هيمنة هيئة تحرير الشام: نحو نهاية الجهاد العالمي 5

1 – تعديل البيئة الثورية 5

2– الحرية في الشؤون السياسية وصعود مجتمع مدني تكنوقراطي 11

3 – إخضاع القاعدة: لا ملاذ آمن للجهاد العالمي 17

2–الاستعادة السياسية للإمارة الراديكالية 21

1. الاستمرارية العقدية: تخفيف السلفية دون التخلي عنها 22

2– إدارة الحقل الديني: سؤال القبول والسيطرة 28

3 – إيقاف المشروع القياسي (المثالي): لماذا لم تعد أسلمة المجتمع هدفاً؟ 36

3 – تعزيز التغيير: استجابة هيئة تحرير الشام للعبة تركيا الاستراتيجية 39

1 – سياسية هيئة تحرير الشام الرعايوية 40

2– إدلب: وضع ثيرميدوري 46

3– استعادة الماضي: إعادة انتاج الإسلام السياسي 52

الخلاصة: إنهاء "الحروب التي لا نهاية لها" يعني فضاء مفتوح للإسلام السياسي 57

مقدمة: الفائزون غير المرغوب بهم أثناء البحث عن "سياسة الهدنة"

قال جورج بوشنر[1] (1983): "*الثورة، كساتورن (إله يوناني)، تأكل أبناءها*". السيناريو السوري يؤكد هذه المعادلة. بعد مرحلة مبكرة من الثورة بلا قيادة، سادت في نهاية المطاف أكثر المنظمات الطليعية تنظيماً والمنبثقة عن الحركات العالمية المصنفة على أنها (إرهابية) والمنزوية عالمياً: حزب الاتحاد الديمقراطي في الشمال الشرقي، وهيئة تحرير الشام في شمال غرب البلاد.

فرضت كل مجموعة سيطرتها وأضفت الطابع المؤسسي على ديناميكية التمرد وفقًا لميولها الإيديولوجية والتنظيمية. لكن توطيد وتعزيز قوتهما لهو أمر متناقض، إنه بالتأكيد قائم على "*مصادرة الثورة*" – كما يزعم منتقدوهم[2]. ومع ذلك، سيكون من الخطأ التفكير فقط من منظور اختطاف الثورة. إن تفاعلات هذه المجموعات مع سياقاتها الثورية المحلية وبيئاتها الجيوستراتيجية – الإقليمية والدولية – قد أحدثت تحولًا عميقًا فيها أيضًا. وبالتالي، فإن تحليل سياسات القوة في إدلب يستلزم فهم كيف استفاد مشروع هيمنة هيئة تحرير الشام من السياقات المحلية والدولية، ومن القيود التي فرضتها هذه السياقات على الجماعة وأدت بالنتيجة لتغيرها. بعيدًا عن كونه تمرينًا أكاديميًا بسيطًا، فإن تحليل هذا التفاعل غني بالدروس اللازمة لصنع السياسات.

قامت هيئة تحرير الشام بتوطيد هذه السلطة في سياق التجميد التدريجي للصراع. التجميد الذي لم يكن مجرد لحظة سكون أو غياب للحرب. منذ اتفاق وقف إطلاق النار التركي – الروسي في مارس 2020، أعادت الهدنة غير المستقرة هيكلة الفضاء السياسي في المناطق التي يسيطر عليها الثوار. كما عند قوات سوريا الديمقراطية (قسد) في الشمال الشرقي، تدرك هيئة تحرير الشام أن الوقائع على الأرض وحدها لا تكفي للبقاء والنجاة، وأن التحركات السياسية الجريئة هي المخرج الوحيد. الفائزون غير المرغوب بهم، لا يزال بإمكانهم إعادة التفاعل مع المجتمعات المحلية، والسعي للتفاوض بشأن إعادة تأهيلهم في المجتمع المحلي. لكنهم كذلك يجب أن يتفاعلوا مع المجتمع الدولي وخاصة مع الغرب. وهم يتخذون خطوات

---

[1] Georg Büchner, *Danton's Death*, (Hudson: Time & Space Limited, 1983).

[2] مناقشات مع نشطاء إعلاميين علقوا على سيطرة هيئة تحرير الشام على إدلب في كانون الثاني 2019 (مقابلة، غازي عنتاب، تشرين الأول 2019).

حقيقية لتحقيق هذه الغاية. بشكل متماثل، على الجانب الغربي، قد تكون الهدنة فرصة لإعادة التفكير في سياساتهم تجاه المنطقة. بالإضافة إلى البحث عن حل سياسي أوسع، يمكن تطوير "سياسة الهدنة" بهدف تمكين ديناميكيات التغيير التي تتشكل حاليًا في تلك المناطق.

تدرس هذه الورقة مشروع هيمنة هيئة تحرير الشام. عندما كانت الجماعة تهاجم الجماعات المحلية التابعة للجيش السوري الحر وأحرار الشام، ثم بعد ذلك تقوم بقمع المتمردين الأكثر تطرفاً من خلال القضاء على معظم خلايا الدولة الإسلامية وإخضاع الفرع المحلي للقاعدة بحلول صيف 2020. فعلى الصعيد الداخلي، ساعد مشروع الهيمنة على إضفاء الطابع المؤسسي على الجماعة وتقليل تأثير المقاتلين الأجانب في هيئة تحرير الشام نفسها. في مجال الحوكمة، تطبق هيئة تحرير الشام مقاربة منخفضة التكاليف قائمة على الاستعانة بأشخاص من خارج الجماعة وتفويض المهام – باستثناء قطاع الأمن – مما يسمح بدمج النخبة المدنية المتدينة في السياسة. من الواضح أن سيطرة هيئة تحرير الشام لا تعمل كحاضنة للجهاد العالمي. بل على العكس من ذلك، وبطريقة أكثر كفاءة – وشمولية – من الطائرات الأمريكية بدون طيار، تشارك الجماعة في استراتيجية فعالة لمكافحة التمرد. إن مشروع الهيمنة الذي تدعمه قد حَرَم القاعدة، لأول مرة منذ تسع سنوات من الصراع، من أي وجود مرئي على الأراضي السورية.

يتناول الجزء الثاني إدارة المجال الديني. حيث يثير فرض هيمنة فرع سابق للقاعدة تساؤلات حول ما إذا كان القضاء على الجهاد العالمي يأتي على حساب إنشاء كيان محلي راديكالي. عملياً، لم تختف الراديكالية الأيديولوجية – لا توجد مراجعات دينية – ولكن تم تعليق أو تحييد تنفيذ الآراء الدينية للجماعة. كما تظل المؤسسات الدينية والتعليم والمساجد في أيدي رجال الدين الأقل مرتبة – غالبًا من الصوفيين والثوريين – حيث لا تستطيع الهيمنة استبدالهم.

الجزء الثالث يتناول استدامة عملية التغيير. إنه يظهر أن التحولات الجارية –بعيدًا عن كونها مجرد تحولات تجميلية وانتهازية ولحظية لمجموعة راديكالية في الأساس– تتلاءم جيدًا مع المسار الثوري الجاري في سوريا. يوضح هذا الجزء أن التحول المستمر تعززه المرحلة الثالثة من مشروع الهيمنة لقيادة هيئة تحرير الشام. بعد الضرب (يسارا) (لإعادة الثوريين

السابقين والإسلاميين المنافسين –عادة باستخدام القوة – إلى الخط العام)، واللكم (يميناً) (إخضاع القاعدة وداعش)، يتضمن مشروع الهيمنة الآن إنشاء علاقة رعاية مع تركيا كحامية للملاذ الذي تم تشكيله في إدلب بعد الدخول المكثف للجيش التركي في فبراير 2020. إن الدخول في علاقة الرعاية يأتي مع مجموعة من القيود التي تعمل على استقرار تحول الجماعة بما يتماشى مع مستوى التوقعات التركية. تشمل هذه التوقعات انفصال هيئة تحرير الشام عن الجهاد العالمي، وتهميش المسلحين الأجانب، والانفتاح على الفصائل الثورية، وازدياد القبول المحلي، والتطبيع مع الغرب، واحترام الاتفاقيات الدولية التي أبرمتها تركيا. هذه التوقعات تتماشى مع الاتجاه الذي رسمته القيادة الحالية في الجماعة.

إذا كانت الثورة ربما قد صودرت من قبل هيئة تحرير الشام، لكن الثورة أيضًا في طريقها لجعل مسار هيئة تحرير الشام مطابقاً لمسار الثورة. إن تطور الجماعة هو دعوة ترحيب لإعادة التفكير في سياسات مكافحة الإرهاب من خلال إعادتها إلى الأساس الذي تم إهماله كثيرًا: ألا وهو السياسة. من وجهة النظر هذه، يمكن لإدلب أن تنشئ نموذجًا جديدًا للخروج من الأجندات العالمية والراديكالية للسلفية الجهادية.

1-مشروع هيمنة هيئة تحرير الشام: نحو نهاية الجهاد العالمي

إن مشروع هيمنة هيئة تحرير الشام لا يؤسس حاضنة لجهاد عالمي. بل هو سبب إنهائها. كان لفرض هيئة تحرير الشام لهيمنتها ثلاثة أهداف رئيسية. أولاً، كانت تهدف إلى فرض هيمنتها العسكرية على المحافظة من خلال إخضاع تيار المعارضة السائد بين عامي 2017 و2019، والموالين للقاعدة بحلول صيف 2020. وثانيًا، سعت إلى ترسيخ هيئة تحرير الشام محلياً لإدارة المناطق الواقعة تحت السيطرة. أخيراً، يكافح مشروع هيئة تحرير الشام لوضع الجماعة في موقع مركزي في اللعبة الإستراتيجية العالمية حول سوريا.

1 - تعديل البيئة الثورية

كان لسلف هيئة تحرير الشام، جبهة النصرة، علاقة غامضة بالبيئة الثورية المكونة من نشطاء محليين، ومجموعات مسلحة تابعة للجيش السوري الحر، ومجالس محلية. بين 2012 و2013، حاولت جبهة النصرة الاندماج مع الحركة الثورية دون السعي لفرض سيطرتها.

عرّفت الجماعة نفسها حرفيًا على أنها (جبهة دعم) توفر للجماعات المسلحة المحلية دعمًا عسكريًا كبيرًا، حيث أن استخدامها للعمليات (الاستشهادية) ضد أهداف النظام يمكن أن يكسر الخطوط الأمامية بسهولة. كانت جبهة النصرة في ذلك الوقت مشاركة في غرف العمليات العسكرية المحلية تحت قيادة قادة الجيش السوري الحر. لم تحاول عزل نفسها.[3]

بدأت المرحلة الأولى من المواجهة مع الجماعات المحلية في عام 2014. لقد ضعفت جبهة النصرة بسبب الانشقاق عن تنظيم الدولة الإسلامية، الأمر الذي شجع زعيمها أبو محمد الجولاني، على مبايعة للقاعدة من أجل الحفاظ على التماسك الداخلي للتنظيم.[4] لكن الولاء الجديد أصبح مبرراً للهجمات المتكررة من قبل الجيش الأمريكي ضد بعض قادات المجموعة البارزين وقاداتها العسكريين[5]. وقد أدى ذلك كذلك إلى تمكين الشخصيات المتطرفة المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بشبكات الجهادي العالمي السلفية.[6] بدأت جبهة النصرة بإدانة الفصائل المحلية لتلقيها الدعم الغربي، والتي قالت إنها تهدف في نهاية المطاف إلى استهداف الجماعة، على الرغم من أن الفصائل المحلية نددت بذلك باعتبارها ذريعة لا أساس لها. بدأت الجماعة في مهاجمة عدة مجموعات تابعة لغرفة التنسيق العسكري المتمركزة في تركيا MOM والتي تشرف عليها مجموعة أصدقاء سوريا، وهو تحالف يضم بشكل أساسي دولًا غربية وخليجية معارضة للرئيس السوري بشار الأسد. اعتبرت جبهة النصرة غرفة التنسيق هذه مظلة عسكرية موالية للغرب ومعادية للجهاديين. ومن أبرز المجموعات المستهدفة كانت جبهة ثوار سوريا، وحركة حزم، والفرقة 13. استغلت جبهة النصرة افتقار هذه الجماعات للتماسك التنظيمي لتحييدها. وفقًا لقائد محلي في الجيش السوري الحر، "*عندما رأينا جبهة النصرة تزداد قوة، حاولنا الاتحاد للبقاء على قيد الحياة ولكن كانت فرصتنا في النجاح ضئيلة للغاية. لم تكن لدينا سلطة كافية على مقاتلينا، الذين اعتبروا جبهة النصرة قوة فعالة للغاية. من بين آلاف المقاتلين، 50 فقط قد يقاتلون جبهة النصرة* ".[7]

---

[3] مقابلات مع قادة في الجيش الحر، إدلب، 2012–2013

[4] مقابلة مع أبو محمد الجولاني، إدلب، يناير 2020

[5] آرون لوند ، "ما هي جماعة خراسان ولماذا تقصفها الولايات المتحدة في سوريا؟" مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي ، 23 سبتمبر 2014 ، https://bit.ly/3lMRQsB

[6] ظهرت شبكة خراسان المزعومة المكونة من مقاتلين سابقين في القاعدة في ذلك الوقت (لوند، المرجع نفسه). ومن بين الشخصيات المتطرفة الأخرى التي تم تمكينها داخليًا سامي العريدي، الذي أصبح مفتي الجماعة. غادر الجماعة عندما قطعت العلاقات مع القاعدة.

[7] مقابلة، الريحانية، نوفمبر 2019

كانت استراتيجية جبهة النصرة تجاه الجماعات الإسلامية الثورية أكثر تعقيدًا.[8] استفادت الجبهة في البداية من موقف هذه الجماعات المحايد أثناء مواجهتها مع الفصائل المدعومة من MOM، مما ساهم في إضعاف هذه الفصائل.[9] شكلت جبهة النصرة جبهات مشتركة مع إسلاميين آخرين في غرف عمليات عسكرية مشتركة، وكان أنجحها تحالف جيش الفتح الذي أنشئ في عام 2015 بدعم من الدولة الإقليمية. إن تحالف الجماعة مع التيار الرئيسي للقوى الإسلامية، وتحديداً أحرار الشام، دلل على مشاركة الجماعة المتنامية في الحكم، وهو مجال لم تعطه الجماعة أولوية في الماضي، حيث أنها ترى نفسها بشكل أساسي تنظيماً عسكرياً.[10] وشملت هذه المشاركة المحاكم مثل نظام محاكم حلب الشرقية، وتوزيع الخدمات، والمجالس المحلية. حدث هناك بعض التوترات، كما في عام 2015 عندما تركت جبهة النصرة بعض المحاكم المشتركة لإنشاء نظام محاكم خاص بها تحت اسم دار القضاء.

اعترفت المعارضة السورية المسلحة تدريجياً بالحاجة إلى التوحد. فرض التدخل العسكري الروسي في سبتمبر 2015 سلسلة من الانتكاسات العسكرية على الثورة. وازداد الشعور بين جميع الجماعات المسلحة بأن التوحد الشامل لهياكلها التنظيمية أصبح ضرورة عسكرية. لكن الجماعات الإسلامية الأخرى تخشى الاتحاد التنظيمي مع منظمة إرهابية مصنفة. لقد اعتقدوا أن أي كيان جديد يمكن أن يُدرج بالمثل على أنه إرهابي. أدى الوضع العسكري على الأرض إلى تسريع المداولات الداخلية الساخنة، مما نتج عنه قرار جبهة النصرة بفك الارتباط عن القاعدة في صيف 2016. تم تغيير اسم جبهة النصرة إلى جبهة فتح الشام للإشارة إلى انفصال الجماعة عن التنظيم. ووفقًا لأعلى شخصية دينية في الجماعة، عبد الرحيم عطون، المعروف أيضًا باسمه الحركي أبو عبد اللَّه الشامي، حيث قال "*في البداية، أخبَرَنا تنظيم القاعدة أن نتصرف وفقًا لاحتياجاتنا. قلنا لهم إننا لا نريد أي عمليات خارجية ووافقوا. لكن الارتباط بالقاعدة أصبح بعد ذلك عقبة أمام اتحاد المعارضة. واجهت بعض الفصائل مشكلة حقيقية في هذا الارتباط بينما استخدمها البعض الآخر كذريعة. لكننا لم*

[8] نستخدم هذا المصطلح لوصف الفصائل الإسلامية المحلية الخارجة مباشرة من التجربة القتالية والثورية في سوريا مثل أحرار الشام وصقور الشام وفيلق الشام، المثال ذكر فقط تلك التي لا تزال موجودة حتى اليوم.

[9] في ديسمبر 2013، استولت الجبهة الإسلامية بقيادة أحرار الشام على منشآت عسكرية لفصائل الجيش السوري الحر عند معبر باب الهوى الحدودي، بحجة "حمايتها" من جبهة النصرة. وفقا لقائد في الجيش السوري الحر، "بعد خسارة منشآتنا العسكرية، فقدنا الدعم الخارجي. هذا سهّل استراتيجية جبهة النصرة للتمكن التدريجي ضدنا". إفادة قائد في جبل الزاوية، واتسآب، أكتوبر 2019.

[10] مقابلة مع مسؤول سابق في الأمم المتحدة يتابع عن كثب ديناميكيات الجماعات المسلحة، ديسمبر 2020.

نرغب في مواجهة نفس المشاكل التي حدثت أثناء الانشقاق عن داعش. خاف الجميع من النتيجة. أردنا تجنب العواقب السلبية "[11].

تمت مناقشة مبادرتي توحد بحلول نهاية عام 2016. هدفت الأولى إلى توحيد الفصائل العاملة تحت مظلة الجيش السوري الحر، بينما اقتصرت الثانية على الجماعات الإسلامية أو القريبة منها. انضمت جبهة فتح الشام إلى المبادرة الثانية، أدى ذلك إلى إنشاء منظمة جديدة تسمى هيئة تحرير الشام في يناير 2017. كان من المفترض أساساً أن تكون هيئة تحرير الشام المظلة التنظيمية التي ستوحد كل المجموعات التي انضمت إلى المبادرة. وافق قائد أحرار الشام في البداية على الاندماج في التنظيم الجديد، لكن مجلس قيادة الحركة رفض في وقت لاحق المصادقة على القرار، حيث خشيت سيطرة الجولاني وخشيت كذلك من أن تصنف دولياً.[12] أدى انسحاب أحرار الشام إلى ازدياد الاستقطاب ضمن صفوف المعارضة في الشمال الغربي بين الجماعتان الوحيدتان القادرتان على القيام بمشروع توحيد للمنطقة، هيئة تحرير الشام وأحرار الشام. قررت معظم الفصائل التي كانت مرتبطة سابقًا بالجيش السوري الحر الانحياز إلى أحرار الشام، لحماية نفسها من هيئة تحرير الشام. في غضون ذلك، اعتزل قادة جبهة النصرة الأكثر راديكالية والذين رفضوا قطع العلاقات مع القاعدة، مع غياب البدائل.

دخل القطبين في لعبة صفرية. خشيت هيئة تحرير الشام من أن يتم استخدام الطرف الآخر من قبل دول أجنبية ضدها.[13] تفاقمت مخاوف هيئة تحرير الشام مع انشقاق عدة فصائل (كانت قد انضمت إليها) بعد عدة أشهر، بما في ذلك جيش الأحرار، ولاحقًا حركة نور الدين الزنكي. على الجانب الآخر، لم تكن أحرار الشام جاهزة في البداية لمواجهة هيئة تحرير الشام. كانت الجماعة تتعافى من نزاع داخلي استمر عامين بين التيارات المتنافسة والذي أعاق إلى حد كبير الإصلاحات الداخلية. ووفقًا لقائد آخر في أحرار الشام: "***استخدمت جبهة النصرة رفضنا للانضمام إليهم وعلاقاتنا بالدول الأجنبية كذرائع لمهاجمتنا. تم تقييد***

[11] مقابلة، إدلب، مقابلة، إدلب، تموز 2019

[12] مقابلة، إسطنبول، يوليو 2017

[13] الاتفاق بين روسيا وتركيا المبرم في أيار / مايو 2017 والمعروف باسم اتفاقية مناطق خفض التصعيد نص بوضوح على صراع مشترك ضد الجماعات التي تعتبر متطرفة، ووجه أصابع الاتهام بشكل غير مباشر إلى هيئة تحرير الشام.

أحرار الشام لمدة عامين بسبب الخلافات الداخلية. لقد بدأنا للتو في تجهيز قوة عسكرية مركزية، لكننا لم نكن مستعدين بعد للدفاع عن أنفسنا. كان علينا تأخير المواجهة معهم."[14]

لعبت خسارة مدينة حلب في ديسمبر 2016 دورًا رئيسيًا في نزعات الهيمنة لقيادة جبهة النصرة. يشير الفشل في الاتحاد مع المعارضة المسلحة إلى الحاجة إلى إيجاد بديل لتوحيد الحكم المحلي. هيئة تحرير الشام كان لديها ثلاثة أسباب لمواجهة أحرار الشام. أولاً، اعتبرت هيئة تحرير الشام أن المشروع المدني لأحرار الشام يعد بمثابة تهديد. ثانيًا، أرادت هيئة تحرير الشام السيطرة على الحدود مع تركيا، والتي ستوفر موارد اقتصادية مجزية ونفوذًا سياسيًا. ثالثًا، اعتبرت هيئة تحرير الشام الهيمنة الداخلية وسيلة لإجبار تركيا على التعاون مع الجماعة. [15]**اكتسبت هيئة تحرير الشام اليد العليا في يوليو 2017 بفضل اعتمادها على قوتها المركزية وعلى عزل المعاقل الرئيسية لأحرار الشام.**[16] **ثم أعادت أحرار الشام هيكلة نفسها وتحالفت مع الزنكي، الأمر الذي أعاد توازن القوى في 2018. نجحت هيئة تحرير الشام في ترسيخ مكانتها بشكل نهائي في يناير 2019. ساعد الدعم العسكري للحزب الإسلامي التركستاني، بالإضافة إلى الموقف المحايد الذي اتخذه فيلق الشام (بالرغم من كونه مكونا من مكونات الجبهة الوطنية للتحرير) إلى رجحان الكفة لصالح هيئة تحرير الشام في معركة استمرت بضعة أيام فقط** [17]**. طردت هيئة تحرير الشام الزنكي في نهاية المطاف، وصادرت الأسلحة الثقيلة من الجماعات الأخرى، وفرضت شروطها على المجموعات المتبقية، ولا سيما قبولها للسلطة المدنية المدعومة من هيئة تحرير الشام، حكومة الإنقاذ السورية.**

بالتوازي مع هيمنتها العسكرية على محافظة إدلب، أخضعت هيئة تحرير الشام الوسط الثوري من خلال الإظهار التدريجي لهيمنتها السياسية على المجالس المحلية الثورية (انظر الجزء الثاني) والإدارة الوصائية للناشطين. ومع ذلك، فقد تفاوت الضغط على النشطاء المحليين مع مرور الوقت. ***"في أوائل عام 2017، كانت هيئة تحرير الشام قمعية للغاية، دينياً***

---

[14] مقابلة، أسطنبول، يناير 2018

[15] قناة الفرغلي في التلغرام

[16] أحمد أبازيد، "كيف انهارت حركة أحرار الشام؟"، نور سوريا، 9 أغسطس 2017، https://bit.ly/37FvmoC

[17]وقد شجبت جبهة الوطنية للتحرير الحزب الإسلامي التركستاني (انظر "مداخلة حول إعلان إخوان الحزب الإسلامي التركستاني بشأن مشاركتهم في الصراع الداخلي"، https://bit.ly/38auOZ5) و جيش الأحرار (انظر: "الجيش الحر ، لواء الشهيد أحمد خلف ، إعلان رقم 6 ،" يوتيوب ، 2018 ، https://bit.ly/37C9gDm) ، على الرغم من أن الحزب الإسلامي التركستاني زعم أنه كان يقوم فقط بالدفاع عن نفسه (انظر : "إعلان بخصوص آخر المستجدات في منطقة الشام"، 2018 https://bit.ly/3ofEKGj).

وسياسياً. كان الهدف إضعاف الهياكل المتنافسة القائمة، بما في ذلك الجماعات المسلحة الأخرى والمجالس المحلية. بمجرد أن ثبتوا هيمنتهم، بدأت المرحلة الثانية من القمع والتي هدفت إلى تقييد مساحة المجتمع المدني للعمل. كان هدفهم إرسال رسالة إلى الناس داخل إدلب مفادها أن جميع الاتصالات مع المانحين الخارجيين كانت موضع قلق. ومع ذلك، بعد ديسمبر 2018، بدأ إطلاق سراح الصحفيين والنشطاء وانخفضت أعداد الاعتقالات. وأوضحت الحملات المنسقة للنشطاء هذا التغيير. أولئك الذين يتحدثون بصراحة كبيرة، والمنتقدون بشكل كبير، لا يزالون مطلوبين بشدة من قبل هيئة تحرير الشام.[18] *لكن بالنسبة للنشطاء الفاعلين والمفيدين، لم نر ضغوطًا حقيقية عليهم. يبدو الآن أن هيئة تحرير الشام تعتقل المزيد من المتعاونين مع النظام* ".[19]

على الرغم من هذا التطور، لا يزال سجل حقوق الإنسان لهيئة تحرير الشام يمثل إشكالية. ذكرت مذكرة إحاطة لمفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان "*لقد تحققنا من تقارير تفيد بإعدام العديد من الأفراد بسبب الانتماء المفترض إلى طرف معارض، بما في ذلك الجماعات المسلحة الكردية أو الحكومة السورية، أو بسبب مزاعم الكفر أو الزنا أو السرقة أو القتل. يحظر القانون الدولي الإنساني صراحة إصدار الأحكام والإعدام دون حكم سابق يوفر جميع الضمانات القضائية اللازمة. بموجب القانون الدولي، قد ترقى عمليات الإعدام التي تُنفذ في انتهاك لهذا الحظر إلى مستوى جرائم الحرب* ".[20] **تتحدى هذه الادعاءات جهود هيئة تحرير الشام لتحسين صورتها في الدول الغربية.**[21]

---

[18] وقد أفرجت هيئة تحرير الشام، في 4 كانون الثاني / يناير 2020، عن الناشطة الإعلامي نور الشلو المتهمة، بحسب ما ورد في بيان صحفي صادر عن المكتب الإعلامي لهيئة تحرير الشام، بـ "مختلف الجرائم الجنائية والأخلاقية" (https://bit.ly/2MzZv1l).

[19] مقابلة مع محلل في منظمة الموارد البشرية الدولية، مكالمة واتس اب، مايو 2020.

[20] رافينا شمداساني، "مذكرة إحاطة إعلامية حول سوريا: انتهاكات إدلب وانتهاكاتها"، مكتب المفوض السامي للأمم المتحدة لحقوق الإنسان، 20 تشرين الثاني / نوفمبر 2020، https://bit.ly/36WPluq

[21] انظر، على سبيل المثال، مقابلة مع الجولاني نشرتها مجموعة الأزمات الدولية، "العامل الجهادي في إدلب السورية: محادثة مع أبو محمد الجولاني"، مجموعة الأزمات الدولية، 20 شباط / فبراير 2020، https://bit.ly/3mYgB6B

2- الحرية في الشؤون السياسية وصعود مجتمع مدني تكنوقراطي

دعمت الهيمنة العسكرية لهيئة تحرير الشام على الفصائل الأخرى مشروعها المحلي. يتجسد هذا الأخير في إنشاء حكومة الإنقاذ السورية في نوفمبر 2017. وقد تم تأسيس حكومة الإنقاذ السورية من خلال ثلاث آليات رئيسية: مركزة هيئات الحوكمة، وتفويض السلطة إلى النخبة المدنية المتعلمة، والاستعانة بمصادر خارجية لتشغيل بعض الخدمات العامة بشكل مستقل عن الهياكل الإدارية القائمة.

قبل عام 2017، أطلقت نخبة مدنية متعلمة ومحافظة عدة مبادرات لتوحيد الحكم في إدلب. كانت هذه الجهود دائمًا ما تفشل بسبب التأثير الطارد للفصائلية. ومن المفارقات أن انتصار هيئة تحرير الشام على الجماعات المسلحة الأخرى أعطى مساحة لهذه النخبة الحضرية مع ابقاء السيطرة عليها. المبادرة الأخيرة، المعروفة باسم مبادرة الإدارة المدنية، قادها أكاديميون سوريون. أدى ذلك إلى تشكيل حكومة الإنقاذ السورية في أغسطس 2017.[22] هذه النخبة هي عبارة عن مزيج من خلفيات مختلفة، بما في ذلك الإسلاميين المدنيين والمتعلمين والمحافظين غير المتشددين (مثل بسام صهيوني وفاروق كشكش ومجاهد ناعس)، وأكاديميين (مثل طاهر سماق، مدير جامعة إدلب، ومحمد بكور، أستاذ اقتصاد من حلب) وأفراد مشاركون في مبادرات محلية.[23] لقد وحدتهم تجربتهم كناشطين بعد عام 2011 ولكن دون انتماءات فصائلية. في المقابل، كان لديهم "*شعور بالإقصاء من الحكومة السورية المؤقتة والفصائل الأخرى. ما وحدهم هو احتكار التمثيل من قبل الائتلاف الوطني السوري وخداع الكيانات المعارضة العاملة في الخارج. لقد شعرت هيئة تحرير الشام جيدًا بوجود هذه النخبة المستبعدة وتمكنت من توفير مكان لهم*".[24]

وانضم إلى قادة مبادرة الأكاديميين رجال الأعمال الذين شاركوا في جهود البناء المؤسسي التي كانت تجري في إطار حكومة الإنقاذ السورية. كان هؤلاء الأفراد مهتمين بإعادة بناء النظام

---

[22] أشرفت هيئة تحرير الشام على مبادرة الأكاديميين من خلال مراجعة الهيئة الانتخابية التي أسفرت عن تشكيل حكومة الإنقاذ السورية في عام 2017 (مقابلات مع أعضاء مبادرة الأكاديميين، يونيو 2019).

[23] مثل: صلاح غفور، سجين سابق من إدلب كان معارض لهيئة تحرير الشام ونشط في المجلس البلدي لإدلب ثم أطلق المبادرة الشعبية. عبد المنعم ناصيف من قبيلة المشاهيد صاحب المبادرة القبلية. يحيى نعيمة رئيس نقابة الصيادلة. وعبد الوهاب صفر من محافظة حلب السابقة. وكشكش ومحمد ناعس قد أطلقوا مبادرة "كفى".

[24] مقابلة مع ناشط إدلب مشارك في المبادرة، هاتاي، أيلول / سبتمبر 2019.

والأمن أكثر من اهتماماتهم الأيديولوجية. كانوا يعتقدون أن توحيد الحوكمة من شأنه أن يحسن الأمن ويحد من التدخلات الفصائلية في عملهم.[25] قامت غرفة التجارة برعاية وتغطية التكاليف الكاملة للهيئة التأسيسية الثانية، والتي عينت، في فبراير 2019، المجلس التشريعي الحالي المسؤول عن إصلاح حكومة الإنقاذ السورية والذي حضره ما يقرب من 50 مشاركًا.

تم تشكيل حكومة الإنقاذ السورية بمنطق (من الأعلى إلى الأسفل)، فقد أنشأت الحكومة الأولى عددًا محدودًا من الوزارات وبدأت بتدوين وتنظيم اللوائح الداخلية داخل الوزارات المختلفة التي تنافست على فرض سلطتها على الجماعات المسلحة والمجالس المحلية. سيطرت حكومة الإنقاذ على صلاحيات الحكم التي كانت تمارسها الفصائل سابقًا. في مجال العدالة، كانت الخطوة الأولى هي الاستيلاء على محاكم الفصائل بالقوة أو بالتفاوض. تم إبقاء الموقوفين رهن الاعتقال مع تسليم الأحكام القضائية، إلا إذا قدمت العائلات طلباً بذلك [26]، وتم تسليم المحفوظات (الأرشيف والسجلات) إلى الوزارة. عادة ما يتم الاحتفاظ بموظفي المحكمة. وبالمثل، فإن غرفة تجارة إدلب التزمت بعد إنشاء حكومة الإنقاذ ونقلت العديد من الصلاحيات إلى وزارة الاقتصاد في الحكومة. كما تم نقل السجل التجاري رغم الحرص الشديد عليه أيام الفصائل. أخيرا، قامت هيئة تحرير الشام بنقل مديريات المخيمات والنازحين إلى وزارة الشؤون الإنسانية[27].

زادت آليات المركزة (التحول للمركزية) من التوترات مع المجالس المحلية المختلفة، التي كانت تعمل سابقًا بشكل مستقل أو بتنسيق وثيق مع الفصائل الأخرى. لم تتبع هيئة تحرير الشام استراتيجية موحدة تجاههم. وكيّفت الجماعة نهجها وفقًا لتوازن القوى المحلي، وهو ما انعكس في وجود مقاومة مدنية وفي التفاعلات بين المجالس المحلية والجماعات المسلحة الأخرى. مزجت هيئة تحرير الشام الاستيعاب، والاتفاقيات المحلية، والقمع حيث قامت حكومة الإنقاذ السورية بالتفاوض مع المجالس المحلية على أساس كل حالة على حدة. بعد السيطرة العسكرية في يناير 2019، طُلب من جميع المجالس المحلية الاعتراف رسميًا بسلطة حكومة الإنقاذ، على الرغم من عدم دمج المجالس على الفور في الهياكل المركزية

[25] مقابلة مع وفد من غرفة تجارة إدلب، تموز 2020.

[26] في كل مرة تستأنف المحكمة، يُمنح أهالي المعتقلين مهلة شهر لإعادة المحاكمة في حال رفضوا أداء القضاة السابقين (مقابلات، محكمة الدانا، إدلب، تموز 2019).

[27] المعلومات التي تم جمعها خلال زيارات لمختلف الوزارات والفئات المذكورة، إدلب، حزيران 2019، تموز 2020.

الجديدة. اتبعت آليات الاندماج مسارات متعددة. في المعاقل التاريخية لجبهة النصرة، مثل حارم، غالبًا ما أصبحت المجالس المحلية على الفور تحت السيطرة المباشرة لحكومة الإنقاذ. في حالات أخرى، أشرفت حكومة الإنقاذ على الانتخابات من خلال وزارة الإدارة المحلية، التي كانت تعين أحيانًا الهيئات الانتخابية المسؤولة عن تعيين المجالس المحلية.[28] في المناطق التي هيمنت فيها الجماعات الإسلامية الثورية (صقور الشام في جبل الزاوية، فيلق الشام في كفر تخاريم)، بقيت المجالس المحلية خارج سيطرة حكومة الإنقاذ لفترة أطول. وكلما كان الفصيل المحلي أقوى، كانت فرصة المجلس أفضل في الحفاظ على مستوى معين من الحكم الذاتي. قاومت أبرز المجالس المحلية الثورية التي كانت مدعومة من قبل فصائل الجيش السوري الحر السابقة في المناطق ذات النشاط المدني القوي، لفترة طويلة، أولاً ضد محاولات جبهة النصرة للسيطرة ثم ضد السيطرة المتزايدة لهيئة تحرير الشام (على الأرض) وحكومة الإنقاذ السورية (على الحكم). كان هذا هو الحال في الأتارب وسراقب ومعرة النعمان وأريحا وسرمدا. ومع ذلك، فإن تغلغل حكومة الإنقاذ المؤسسي حدث تدريجياً في كل مكان. إمداد المناطق المحررة بالكهرباء سمح لحكومة الإنقاذ بفرض ضرائب على المنطقة بأكملها، بما في ذلك الأماكن التي ظلت المجالس المحلية السابقة موجودة فيها.[29] تم تحويل مهام الشرطة إلى هيئة تحرير الشام وتم نقل الشؤون القضائية إلى وزارة العدل.[30] في النهاية، سقطت المجالس المحلية في سراقب ومعرة النعمان وكفرنبل مع استعادة النظام العسكري لهذه القرى في أوائل عام 2020.

كما تقوم أجزاء من النخبة المحلية المتبقية بدعم الحكومة. يشمل ذلك المهنيين المدنيين ورجال الأعمال والشخصيات القبلية الذين يشاركون في الهياكل الإدارة لحكومة الإنقاذ بالرغم من رفض نسبة كبيرة من النشطاء المدنيين والصحفيين لحكومة الإنقاذ

---

[28] مقابلات مع وجهاء محليين من دانا وسراقب، أيلول / سبتمبر 2019 ومارس / آذار 2020. للحصول على تصنيف أولي للعلاقات بين هيئة تحرير الشام والمجالس المحلية في إدلب، انظر: أيمن الدسوقي، "دور الحركات الجهادية في الحكم المحلي السوري،" عمران للدراسات الاستراتيجية، 14 يوليو / تموز 2017، https://bit.ly/3n4JXk

[29] عندما سيطرت هيئة تحرير الشام على معرة النعمان عسكريًا في يناير 2019، حضر وفد من حكومة الإنقاذ السورية إلى المدينة للتوصل إلى اتفاق مع رؤساء هياكل السلطة المحلية. طلبت منهم الاعتراف بحكومة الإنقاذ ثم السيطرة على مركز الشرطة والمحكمة. تم إبرام صفقة. تخلت هيئة تحرير الشام عن الحواجز التابعة لها مقابل السيطرة على المحاكم والتعهد بعدم اعتقال نشطاء المجتمع المدني. استولت حكومة الإنقاذ السورية على مصادر الدخل المحلية، مثل فرن الخبز في المدينة والسجلات المدنية والأراضي بعد شهر، قبل تولي المكتب الاستراتيجي للرقابة والإحصاء. بقي المجلس المحلي، رغم تغيير بعض الأسماء، واختفى التمثيل النسائي بعد أن بلغ 20٪ في ظل الإدارة السابقة. انزلقت السلطة المحلية تدريجياً نحو هيئة تحرير الشام وحكومة الإنقاذ السورية (مقابلة مع ناشطين محليين من معرة النعمان، واتساب، أيار / مايو 2020).

[30] حوار مع سكان سراقب. يوليو 2019.

السورية، الذين ألقوا باللوم عليها بسبب تحالفها مع هيئة تحرير الشام، والفساد، وسحق الهياكل المدنية المستقلة. بعد مرحلة أولية قامت فيها هيئة تحرير الشام بإكراه منظمات المجتمع المدني، تغيرت سياسة الجماعة لتصبح سياسة فيها قدر أكبر من المراوحة تجمع بين التساهل وأشكال جديدة من الرقابة الاجتماعية. تم استبدال المجتمع المدني الثوري السابق بمجتمع مدني جديد غير مسيس يسترشد بنظرة إدارية بحتة لمؤسسات الحكم – يصر أعضاؤه على أنهم مؤهلون كـ (تكنوقراط).[31]

لا يمكن اختزال عملية إدراج النخبة المدنية في آلية خالصة من الاستيعاب الاستبدادي. كان لمشروع الهيمنة أيضًا تأثيرات هيكلية. بعض الفاعلين فرضوا أنفسهم بشكل مستقل – مثل الحرفيين ورجال الأعمال – بينما تم استيعاب آخرين ووضعهم تحت سيطرة غير مباشرة (مثل القبائل). إن الالتفاف حول المشروع هو بسبب التوافق الأيديولوجي عند بعض الفاعلين (الأكاديميين)، وبسبب المصالح التجارية عند فاعلين آخرين (رجال الأعمال والأطباء) وبسبب قوة العلاقات الاجتماعية في حالات أخرى (القبائل الجنوبية).[32]

بينما لعبت هيئة تحرير الشام دورًا رئيسياً في إنشاء حكومة الإنقاذ، فإن الجماعة ليست بمنطق الإدارة الدقيقة والسيطرة اليومية على عكس الحركة الكردية في الشمال الشرقي.[33] بسبب إدراكها لقدراتها المحدودة في الحوكمة وفي غياب التزام وتعهد حقيقي بإدارة حكم الشعب بشكل مباشر، فقد أظهرت هيئة تحرير الشام استعدادها لتفويض السلطة لشرائح من النخبة المدنية المتعلمة. لم يكن هذا العمل التفويضي خيارًا أيديولوجيًا بل هو واقع عملي نتيجة لندرة الموارد، وهو وسيلة لدمج نخبة أكثر تكنوقراطية وإعادة دمج قطاعات من النخب الثورية السابقة أيضًا.

بالإضافة إلى مركزة الحكم وتفويض بعض السلطات لنخبة (تكنوقراطية)، قامت هيئة تحرير الشام بالاستعانة ببعض الجهات خارج الحكومة لإدارة بعض الخدمات العامة. لا تملك حكومة الإنقاذ الموارد المالية لتقديم خدمات حكومية كاملة لما يقدر بنحو 3.2 مليون

---

[31] مقابلات مع كوادر من حكومة الإنقاذ، إدلب، يوليو 2019 ويوليو 2020.

[32] مقابلات مع زعماء العشائر ورجال الأعمال المحليين وأعضاء مبادرة الأكاديميين، إدلب، يوليو 2019 ويوليو 2020.

[33] باتريك هيني وآرثر كيسني، "البقاء على قيد الحياة في أعقاب تنظيم الدولة الإسلامية: استراتيجية الصمود للحركة الكردية السورية،" تقرير مشروع بحثي، (فلورنسا: المعهد الجامعي الأوروبي، اتجاهات الشرق الأوسط، زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا، 2020)، https://bit.ly/3mTSZQx

نسمة[34]، وهو ما كان سيكون مفيدًا في تعزيز الدعم الشعبي المحلي. على عكس الشمال الشرقي الغني بالنفط، فإن حكومة الإنقاذ السورية تعاني من نقص شديد في الموارد. يمكنها الاعتماد فقط على 7000 موظف مدني. في مجال القضاء، طُلب من القبائل تطبيق الأحكام، بما في ذلك استخدام المعايير القبلية في قضايا القتل.[35] كما تم التعاقد لتشغيل قطاعات كاملة من الحكومة عن طريق جهات فاعلة من القطاع الخاص، معظم هذه الجهات هي منظمات محلية مدعومة من الدول المانحة. وفي مجال الصحة، فإن المنظمات الدولية غير الحكومية وشركاؤها المحليون قد تبنوا وزارة الصحة الضعيفة جدا. وهكذا استفاد 1600 موظف في القطاع من مساعدة المؤسسة الألمانية للتعاون الدولي GIZ، ومع ذلك، فقد تم قطع هذا الدعم في عام 2019 بسبب حقيقة أن "*إدلب أصبحت بيئة خطيرة بشكل متزايد*" كما لاحظ خبير ألماني مطلع على الملف السوري [36]. في قطاع التعليم، كان الميل دائمًا لتسليمها إلى طرف ثالث. توجد وزارة التعليم في حكومة الإنقاذ السورية، ولكنها تدفع فقط رواتب الموظفين الإداريين. ليس لديها معلمين في كشوف الرواتب. وتعتمد الوزارة على قائمة مكونة من 4000 متطوع مع ضمان صيانة المباني المدرسية والتنسيق مع حوالي 20 منظمة تعمل في مجال التعليم. المعاهد الدينية الخاصة، والتي غالبًا ما يسيطر عليها أعضاء من الطرق الصوفية لازالت تشارك في العملية التعليمية. بالإضافة لما سبق فإن المساعدات الخارجية الأنجلو ساكسونية لازالت تحافظ على دعمها للتعليم الابتدائي فقط، بالرغم من إيقاف مساهمتها في دعم البرامج الأخرى في عام 2018.[37] تمول مؤسسة قطر توزيع المناهج الدراسية المعتمدة من الأمم المتحدة للمرحلتين الإعدادية والثانوية، بينما تصدر الحكومة السورية المؤقتة في النهاية شهادات التعليم.[38]

---

[34] حسب تقديرات الأمم المتحدة (مناقشة مع أحد موظفي مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية، مارس 2020).

[35] في حين أن استخدام العشائر في إدارة القانون ليس بالأمر الجديد (النظام السوري نفسه يمارسه على نطاق واسع)، فإن هذا الاتجاه يعكس انعطافًا حقيقيًا في إدلب حيث أن الفصائل كانت تقضي من قبل بشكل مباشر وكانت القبائل مهمشة (لقاءات مع القضاة والمحامين) محكمة الدانا، إدلب ، تموز 2019).

[36] مقابلة، برلين، سبتمبر 2019.

[37] سوريا للإغاثة، "سوريا للإغاثة تعلن عن 107 مدارس جديدة من خلال الشراكة مع Chemonics" Reliefweb، 15 نوفمبر 2019 ، https://bit.ly/2VMQTGf

[38] على الرغم من تعدد الفاعلين الموجودين على الأرض، فإن مستوى التعليم في إدلب يتراجع بشكل كبير. أظهرت دراسة أجراها 11 باحثًا بتكليف من وزير التربية والتعليم في المخيمات أن مستويات الأمية تصل إلى 40٪ من سكان المخيمات نهاية 2020 (مقابلات مع مسؤولين في حكومة الإنقاذ وعاملين في المنظمات غير الحكومية، إدلب، كانون الأول 2020).

في ظل عدم توفر الموارد، يتعين على هيئة تحرير الشام وحكومة الإنقاذ السورية تقديم تنازلات. لقد أجبروا على التنازل لفترة مع بعض المجالس الثورية. كان عليهم الاعتماد على القبائل والتفاوض مع المنظمات غير الحكومية (المحلية والدولية) والحكومة السورية المؤقتة مع التخلي عن تنظيم قطاعات الخدمة العامة للحفاظ على الدعم الأجنبي. وبالتالي، فإن إضفاء الطابع المؤسسي على الثورة الذي أرادته الحركة الجهادية السابقة يظل مشروعًا انتقالياً قويًا لا يزال فيه مجال للحكم الذاتي. كما أنها هيأت فرصًا جديدة للدعم الخارجي للسكان الذين هم في أمس الحاجة. وكمثال على التنازلات، أثارت محاولات حكومة الإنقاذ السورية لفرض ضرائب على قوافل المساعدات الدولية عند معبر باب الهوى مقاومة كافية أدت إلى تراجع المسؤولين عن القرار. وبالمثل، اضطرت هيئة تحرير الشام في مناسبتين للتخلي عن إعادة فتح المعابر إلى المناطق التي يسيطر عليها النظام في أعقاب معارضة السكان، والذين خرجوا للتظاهر عدة مرات.[39] في كلتا الحالتين، تراجعت هيئة تحرير الشام عن قراراها على الرغم من أن المعابر كانت بمثابة أحد المصادر الرئيسية لإيرادات حكومة الإنقاذ.

في النهاية، فإن حكومة الإنقاذ هي نتاج اندماج بين حركة إسلامية ثورية أجبرت على الانخراط في مجال الحكم بينما تفتقر إلى الخبرة، وطبقة وسطى متدينة تستفيد من التفويض الجزئي للسلطة للمشاركة في الحكم المحلي. تدير حكومة الإنقاذ بشكل مستقل جميع القضايا الإدارية، ومع ذلك يواصل عناصر الأمن معالجة القضايا المتعلقة بالمتعاونين المزعومين مع النظام وخلايا داعش والجريمة المنظمة (مثل الاختطاف والابتزاز). وبالتالي، فإن مشروع الهيمنة بشكل عفوي هو نيوليبرالي، وهو ليس نموذجًا تدخلياً لحزب واحد، لأنه يعتمد كثيرا على التفويض والتعهيد الخارجي. تشارك حكومة الإنقاذ في إستراتيجية قوة هيئة تحرير الشام ولكن لا يمكن اعتبارها فرعًا من إدارة هيئة تحرير الشام أو فرعها المدني. هذا الواقع ناتج عن غياب الوسائل وليس بسبب الخيارات الأيديولوجية المحددة.

[39] حاولت هيئة تحرير الشام مرتين إنعاش التجارة بفتح نقاط عبور في معر حطاط وسراقب في أبريل ومايو 2020 على التوالي. عارضها السكان بحجة أن هذا القرار سيترتب عليه قبول ضمني بفقدان سراقب ومعرة النعمان وأنه سيزيد من تكلفة المعيشة في إدلب.

3 - إخضاع القاعدة: لا ملاذ آمن للجهاد العالمي

كانت الخيارات الاستراتيجية لهيئة تحرير الشام موضع نزاع داخلي. وتضمنت القضايا الثلاث الرئيسية: قطع العلاقات مع القاعدة في صيف 2016، وقبول وجود القوات التركية في وقت مبكر من نهاية عام 2017، والهدنة الروسية التركية التي تم التصديق عليها في موسكو في عام 2020. عناصر جبهة النصرة الذين رفضوا قطع العلاقات مع القاعدة في 2016 تركوا المجموعة ثم قاموا بتشكيل حراس الدين، الفرع المحلي الجديد للقاعدة، في فبراير 2018. كما انشق عناصر هيئة تحرير الشام الذين عارضوا دخول القوات التركية إلى إدلب، أو تم تنحيتهم جانباً بشكل داخلي. بدأت العلاقة مع حراس الدين تحدد مرحلة جديدة في اللعبة الاستراتيجية لهيئة تحرير الشام في إدلب بعد تحييد فصائل الجيش السوري الحر وأحرار الشام في كانون الثاني 2019.[40]

لم تكن هيئة تحرير الشام في البداية تبحث عن مواجهة مع حراس الدين. كان على الجماعة أن تتعاون عسكريا مع جميع القوى الناشطة ضد النظام. أصر القائد العسكري لهيئة تحرير الشام على أن "*خطنا [كان] قبول جميع الجماعات التي تقاتل بشرط ألا تشارك في عمليات تزعزع الاستقرار*".[41] علاوة على ذلك، فإن الاعتقالات التي طالت كوادر حراس الدين أدت في السابق إلى أن تقوم هيئة تحرير الشام بتجميد عضوية بعض الفصائل الفرعية وقادة المجموعات.[42] ظل العداء قوياً، وفي البداية، تم التعامل بسياسة تجمع بين التعاون والاحتواء.[43]في آذار (مارس) 2019، اتفقت هيئة تحرير الشام وحراس الدين على شروط تعايش مقيدة للغاية لحراس الدين. في هذه الاتفاقية أجبرت هيئة تحرير الشام حراس الدين على التخلي عن (العمليات الخارجية) – أي الجهاد العالمي –، إخلاء المحاكم ومراكز الاعتقال والحواجز التابعة لها، وقبول المحاكم العسكرية لهيئة تحرير الشام. وكان على حراس الدين أيضًا التخلي عن أي تدخل في الشؤون المدنية.[44] كان الاحتواء عسكريًا واقتصاديًا أيضًا.

---

[40] حراس الدين هو تحالف غير منظم يتكون من 1200 إلى 1500 مقاتل يتجمعون حول قادة سابقين في جبهة النصرة، توحدوا في فبراير 2018 برفضهم قطع العلاقات مع القاعدة. وتضم المجموعة معظم الشخصيات الأردنية التي لعبت أدوارًا بارزة في جبهة النصرة.

[41] مقابلة، إدلب، يوليو 2020

[42] هيئة تحرير الشام، "إعلان عام من قيادة هيئة تحرير الشام"، 2017، مأخوذ من قناة التلغرام التابعة لهيئة تحرير الشام.

[43] لم تترك هيئة تحرير الشام أكثر من 7 مواقع على الخطوط الأمامية لحراس الدين. بالإضافة إلى تواجدها على الخط الأمامي، كان لدى حراس الدين 16 موقعاً عسكرياً في بلدة جسر الشغور قبيل التصعيد صيف 2020.

[44] مقابلة مع قادة من هيئة تحرير الشام، يناير ويوليو 2020

سيطرت هيئة تحرير الشام على إمكانية الوصول إلى الأسلحة وضغطت على وسطاء نقل الأموال. وقد سمحت هذه السياسة، على سبيل المثال، لهيئة تحرير الشام بمنع حراس الدين من فتح جبهة إشغالية في حلب في مايو 2019 مع احتدام المعركة في جنوب إدلب. الأمر الذي كان من الممكن أن يكون دافعًا لتدخل إيراني أرادت هيئة تحرير الشام تجنبه.[45] بعد إنشاء غرفة عمليات وحرض المؤمنين في أكتوبر 2018 مع جبهة أنصار الدين وأنصار الإسلام، نجحت هيئة تحرير الشام في استمالة أنصار التوحيد إلى خطها السياسي، وتشجيع استمرار تباعدهم عن حراس الدين وذلك عن طريق زيادة الدعم المادي في مايو 2020 أي استطاعت حشدهم على خط هيئة تحرير الشام السياسي.[46]

استمر الاتفاق لمدة ثلاثة عشر شهرًا تقريبًا.[47] كان التدخل العسكري التركي الكبير في إدلب في فبراير 2020 هو الذي زعزع التوازن الهش بين التنظيمين. بعد شهرين من التردد، اصطفت هيئة تحرير الشام بوضوح إلى صف الاتفاق الروسي التركي الجديد. وهكذا قبلت هيئة تحرير الشام بحكم الأمر الواقع وجودًا روسيًا متقطعًا بسبب الدوريات الروسية – التركية المشتركة في مناطق الثوار. ووفقًا لمحلل مطلع، فإن "*صفقة بوتين – أردوغان بشأن الدوريات أثارت على الفور التفسير الأيديولوجي من جانب حراس الدين. حدث هذا أثناء مشاهدتنا تدهور الوضع في إدلب بالعرض البطيء: لقد كان حراس الدين، في وضع مفلس، وكانوا ينخرطون بشكل متزايد في عمليات الخطف والنهب والسرقة* ".[48] أخذت حراس الدين زمام البادرة بقيادتها هجوماً صاعقاً ضد قوات النظام على قرية طنجرة في سهل الغاب وسيطرت على هذه القرية لفترة وجيزة في 9 مايو 2020. وبالعودة إلى الوراء، فقد رأى القائد العسكري في هيئة تحرير الشام أن هذا هو أول عمل في مسلسل التصعيد الذي كان من شأنه أن يتبع ذلك، وبحسب قوله، "*هذه العملية الواسعة النطاق لم تنفذ ضد النظام حين تم تنفيذها بل كانت عملاً سياسيًا يهدف إلى توحيد جميع الجماعات ضدنا والتي رفضت سياسة هيئة تحرير الشام وربما خلق ديناميكية للانشقاق من صفوفنا* ".[49]

---

[45] مقابلة مع عدة قادة من هيئة تحرير الشام، إدلب، يوليو 2020

[46] مقابلة مع محللين محليين، إدلب، تموز / يوليو 2020. انظر أيضاً أيمن جواد التميمي، "لماذا أنهت أنصار التوحيد تحالفها مع حراس الدين"، بونديسيتي، 10 حزيران / يونيو 2020، https://bit.ly/33Sikmr

[47] بالنسبة لأبو محمد الجولاني، فإن "العلاقة مع حراس الدين متوترة دائمًا. في بعض الأحيان نواجه مشاكل معهم وعلينا التدخل، لكن المشاكل تم حلها دائمًا ". مقابلة، إدلب، يناير 2020.

[48] مقابلة، إدلب، يوليو 2020

[49] مقابلة، إدلب، يوليو 2020

تسبب الانسجام مع سياسة "الملاذ" التركية وكذلك لعبة القوة والنفوذ داخل هيئة تحرير الشام إلى إطلاق المواجهات بين الطرفين. بدأت المواجهات عندما قام قائد بارز، وهو أبو مالك التلي،[50] بالانشقاق والتحالف مع أحد أعضاء هيئة تحرير الشام سابقًا والذي أسس تنسيقية الجهاد أبو العبد أشداء، ومع أبو صلاح آلأوزبكي، الزعيم السابق لجماعة كتيبة التوحيد والجهاد.[51] شارك القادة الثلاثة في إنشاء غرفة عمليات (فاثبتوا) مع حراس الدين. لقد أكد إنشاء حراس الدين لغرفة عمليات فاثبتوا على حالة الاستقطاب التي حدثت والناجمة عن إدخال قوات عسكرية تركية على نطاق واسع في بداية العام. "*هذه هي أول جبهة احتجاج ضد الخط الذي اتخذه الجولاني*"[52] وفقاً لمحلل محلي. "*كان ينظر إلى أبي مالك على أنه قائد الغرفة، وهذا ما أدى إلى اعتقاله. لم تكن غرفة عمليات فاثبتوا تهديدًا عسكريًا، - من بين 320 موقعًا في الخطوط الأمامية لدى هيئة تحرير الشام، فقط 10 إلى 15 موقعًا لدى فاثبتوا*".[53] وسرعان ما أصبح الصراع علنياً. أقامت حراس الدين حواجز لحماية مواقعها، أو كما اعتقد بعض قادة هيئة تحرير الشام، لاعتقال أعضاء من تنظيمهم بهدف التفاوض وهو ما يعادل، بالنسبة للقائد العسكري في هيئة تحرير الشام، "إعلان حرب".[54] وفي مواجهة التهديد، منعت هيئة تحرير الشام أي انشقاق لم توافق عليه القيادة مسبقاً.[55] كما حشدت هيئة تحرير الشام عناصرها.[56]

---

[50] يبدو أن التوترات بين أبو مالك التلي وهيئة تحرير الشام بسبب الخلاف الجيوستراتيجي - رفضه الانضمام إلى تركيا - بقدر خلافه معهم بسبب ألعاب توازن القوى داخل المنظمة، وفقًا لمقابلاتنا مع قادة هيئة تحرير الشام.

[51] سيتم القبض عليهم لاحقًا، خلال الجزء الأول من يونيو 2020، لمشاركتهم في إنشاء غرفة فاثبتوا أو - بالنسبة لأبو صلاح الأوزبكي - لانضمامهم إلى إحدى مجموعات الغرفة المعنية؛ كالب فايس ، "الجهاديون في سوريا يفيدون بأن أبو صلاح ، المؤسس والأمير السابق لمجموعة كتيبة التوحيد والجهاد الأوزبكية (الآن جزء من هيئة تحرير الشام)" تويتر ، 10:53 مساءً ، 17 حزيران / يونيو 2020 ، https: //bit.ly/3naXFRB ؛ انظر أيضاً منهل بريش ، متابعة سياسات الاحتواء: هيئة تحرير الشام تحظر تشكيل الكتائب وغرف العمليات في إدلب (باللغة العربية) ، القدس العربي ، 27 حزيران / يونيو 2020 ، https://bit.ly/ 33PNBqa

[52] مكالمة واتساب مع محلل قريب من هيئة تحرير الشام، يونيو 2020

[53] مكالمة واتساب، يوليو 2020

[54] مقابلة، يوليو 2020

[55] هيئة تحرير الشام، تعميم، 2020، من غرفة التلغرام التابعة للجماعة.

[56] في 18 يونيو / حزيران، قامت فصائل جهادية مختلفة بتأكيد دعمها لهيئة تحرير الشام في بيان. أبرز هذه الفصائل الحزب الإسلامي التركستاني، ولكن يوجد أيضًا مجموعات صغيرة مختلفة من أوزبكستان، وجزر المالديف، وألبانيا، وإيران، وطاجيكستان، وشبه الجزيرة العربية والقوقاز، قامت بتأكيد دعمها لهيئة تحرير الشام كذلك.

وفي هذه المواجهة، قررت هيئة تحرير الشام تجاهل قيادة حراس الدين والتركيز على القادة العسكريين الذين شكلوا الخطر الأكبر. يقول الجولاني إن هيئة تحرير الشام كانت حريصة على "*السماح لهم ببعض المجال للتنفس. اعتقال القادة سيثير ردود فعل في وسائل الإعلام. كان من الأفضل تركهم مختبئين وتحت السيطرة بدلاً من إظهارهم كضحايا مما يمكن أن يثير التعاطف*".[57] بالإضافة إلى ذلك، اعتمدت هيئة تحرير الشام على سياسة المفاوضات المنهجية مع القادة المحليين. كانت هناك سلسلة من الترتيبات المحلية بحكم الواقع. يعتقد أحد المحللين المطلعين أن "*النقطة الأساسية التي يجب أن نأخذها في الاعتبار هي أن حراس الدين عبارة عن واجهة رافضة لرغبة هيئة تحرير الشام في قطع العلاقات مع القاعدة، وليس منظمة ذات هيكلية، القيادة ضعيفة جدا. رفضت الهيئة التعامل مع كبار قادتهم الذين عرضوا عليها عقد صفقات معهم*". لقد أثمرت الاستراتيجية التي جمعت بين الاستيعاب والوعود بالعفو عن الجنود مع الملاحقة الأمنية للقادة. فكانت أيام قليلة في الأسبوع الأخير من شهر يونيو، كافية لإسكاتهم ومنعهم من الحصول على أي وجود ظاهر في معاقلهم: أرمناز، دركوش وجسر الشغور وعرب سعيد.[58]

الاستقطاب الناتج عن التدفق الهائل للجنود الأتراك والمواجهة التي أعقبت ذلك كرست انفصالًا أساسيًا في تاريخ الصراع المسلح في سوريا. لأول مرة منذ تسع سنوات، لم يعد للقاعدة أي وجود مرئي، فقد أصبح التنظيم تحت الأرض، وفقد مواقعه على خط المواجهة وجميع القواعد العسكرية التي كانت لديهم في المناطق الخلفية وفقدوا معظم قدراتهم التنظيمية والمالية. بعد تحوله إلى الوجود السري، لا يستطيع تنظيم حراس الدين البقاء على قيد الحياة في وقت السلم لأنه فقد فرص الغنائم الحربية والدعم الخارجي للجهاد. وتعمل هيئة تحرير الشام، التي تحرص على الحفاظ على السيطرة، على منع أي نشاط مستقبلي للشبكات المرتبطة بالقاعدة في المنطقة. الهجوم الأخير في محافظة الرقة في يناير 2021، بعيدًا عن شمال غرب سوريا، يشير إلى أن قادة الجماعات ربما قرروا التركيز على ساحات القتال الأخرى.[59] بالإضافة إلى ذلك، فإن المقاتلين الأجانب المتبقين، بما في ذلك الحزب الإسلامي

---

[57] مقابلة مع أبو محمد الجولاني، إدلب، ديسمبر 2020

[58] هذا لا يعني أن هيئة تحرير الشام تسيطر بالكامل على الأراضي. كما يوضح خبير أمني وأكاديمي تركي، "تخشى دوريات هيئة تحرير الشام عند عبورهم جسر الشغور. لا تزال المدينة مليئة بالمجاهدين الأجانب. لم تقاتل هيئة تحرير الشام هناك ضد حراس الدين. لم يعد هناك أعلام ولا مقر ولكن حراس الدين لا يزال هناك ولا أحد يطاردهم "(مقابلة، أنقرة، تشرين الثاني / نوفمبر 2020).

[59] عدنان أحمد، هجوم على قاعدة روسية في شرق سوريا: حراس الدين يعود إلى المواجهة، العربي الجديد، 2 كانون الثاني 2021، https://bit.ly/2KVguek

التركستاني الأويغور وأيضًا الشيشان، قبلوا التوجه الجديد لهيئة تحرير الشام. مصير شبكات الجهاد العالمية المتبقية غير مؤكد. لا تزال هناك ثلاثة سيناريوهات ممكنة: قبول توازن القوى الغير ملائم لهم مع كمونهم بانتظار ظروف أفضل. والثاني تنظيم عمل سري ضد هيئة تحرير الشام وقيادتها، أو اللجوء إلى قطع الطريق.[60] على الأرجح، هو مزيج من هذه السيناريوهات التي ستشكل مستقبلهم القريب عوضاً من بديل واحد متوقع من هذه الخيارات.

على الرغم من المخاوف الأولية للعديد من قادة هيئة تحرير الشام، إلا أن المواجهة مع القاعدة وقبول الجماعة للقواعد التركية الجديدة للعبة لم تخلق أي انقسام داخلي كبير. أثار التعديل الاستراتيجي لهيئة تحرير الشام الكثير من التردد الداخلي ولكن فقط قام عدد محدود بالمغادرة إلى الجماعات الأكثر تطرفاً. قيادة هيئة تحرير الشام تبرز أقوى من المعركة. خطها السياسي أقل إثارة للجدل ولم يعد هناك أي عروض بديلة لهيئة تحرير الشام. من الواضح أن المشهد الراديكالي سيتعرض لضغوط أكبر مع استمرار الهدنة، وسيسمح المشروع المهيمن لقيادة هيئة تحرير الشام بترسيخ أسسها وتهميش منافسيها الأقران.

2-الاستعادة السياسية للإمارة الراديكالية

مشروع هيمنة هيئة تحرير الشام قد أزال كل أفق لإنشاء معقل للقاعدة في إدلب.[61] والسؤال الأهم هو، هل أن إنهاء الجهاد العالمي سيكون على حساب إنشاء إمارة راديكالية محلية. نستنتج من تحليل التحولات الداخلية لهيئة تحرير الشام إلى أن سياساتها المحلية قد تغيرت على مر السنين. أولاً، على الرغم من بقاء هيئة تحرير الشام سلفية عقائديًا، إلا أنها توقفت عن استخدام المفاهيم الأيديولوجية الأكثر إثارة للجدل للسلفية الجهادية. ثانيًا، تحاول الجماعة بشكل فعال أن تكون متجذرة محليًا ومقبولة، على الرغم من استعدادها المستمر لفرض السيطرة السياسية. في ظل غياب الموارد، تبنت هيئة تحرير الشام بشكل متزايد سياسة عدم التدخل. وهذا ما يؤكده المجال الديني. تستلزم استراتيجية المرونة التي

[60] هذا هو الاتهام الذي وجهته هيئة تحرير الشام لأبي يحيى الجزائري (مقابلات مع قادة سياسيين وعسكريين في هيئة تحرير الشام، إدلب، يوليو 2020)

[61] هجوم أكتوبر 2020 على مدرس للغة الفرنسية من قبل شخص شيشاني على اتصال بشخصين في إدلب لا يبطل هذا البيان. لم يتصرف المؤلف بناء على أوامر المنظمات المحلية. يتماشى عمله مع مسار الهجمات المسلحة التي تتطلب قدرات لوجستية قليلة.

تتبعها هيئة تحرير الشام تجنب تنفير السكان المحليين. يُعد المجال الديني مشهدًا باررًا لهذا "التقارب" مع السكان.

1. الاستمرارية العقدية: تخفيف السلفية دون التخلي عنها

لا تزال هيئة تحرير الشام ملتزمة بالنهج السلفي للإسلام. السلفية هي في الأساس قراءة دينية للمعتقدات الإسلامية الأساسية. دون الخوض في التفاصيل غير الضرورية، يدعي النهج السلفي للإسلام تنقية ما يعتبره معتقدات إسلامية غير أصيلة والعودة إلى جوهر الإسلام (القرآن والسنة النبوية). ومع ذلك، من الناحية السياسية، أيد السلفيون مواقف متضاربة بشكل جذري تتراوح من الطاعة شبه العمياء للحكام المسلمين إلى المعارضة العنيفة لهم. لا يزال النهج السلفي للإسلام مهيمناً في العديد من المؤسسات الدينية في إدلب. وتشمل هذه المؤسسات كلية الشريعة بجامعة إدلب والمجلس الأعلى للإفتاء ووزارة التربية والتعليم ومعهد التدريب القضائي. كلية الشريعة، على سبيل المثال، تواصل تدريس كتاب أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب، وهو كتاب أساسي من كتب السلفية الحديثة،[62] على الرغم من أن تعاليمها للفقه الإسلامي أكثر شمولية. وفقًا لطالب سابق، فإن "*هيئة تحرير الشام لديها أتباع في الكلية وبين الطلاب. إنهم من يحضرون شخصيات الجماعة الدينية إلى الجامعة ولا يستطيع رئيس الجامعة أن يعارضهم* ".[63]

تواصل السلفية إظهار طريقة قراءة هيئة تحرير الشام للصراع بشكل ديني. الكتاب الذي ألفه عالم ديني تابع لهيئة تحرير الشام –وهو أبو يحيى الفرغلي– دون أن يمثل وجهة نظرها الرسمية، يوضح التصور الشائع للصراع.[64] تظل العقيدة الدينية السلفية الأساسية مركزية في معارضتها لـ "البدع" في الدين، وبقايا الشرك، والترويج للعقيدة السلفية. إن التعديل الرئيسي هو سياسي. يصنف الكتاب العداوات الدينية حسب المواقف السياسية للجماعات الدينية من سوريا. على سبيل المثال، فهو لا يؤكد على الخلافات التي تسعى هيئة تحرير الشام لتجنبها مع الجهات الفاعلة، مثل الإسلام التقليدي. لم يتعرض الصوفيون

---

[62] محمد بن عبد الوهاب، أصول الإيمان، (لندن: دار تراث للنشر، 2013). مقابلة عبر واتساب مع مدرس سابق في الكلية، أيار / مايو 2020. لكن هذا الخيار لم تفرضه هيئة تحرير الشام.

[63] مقابلة واتساب مع طالب سابق في الكلية، مايو 2020

[64] أبو فتح الفرغلي، زاد الطالب، 2017. الفرغلي عضو سابق في الجماعة المصرية، الجماعة الإسلامية. لا يزال في هيئة تحرير الشام حتى يومنا هذا، على الرغم من أن آرائه الدينية أكثر صرامة من آراء قيادة هيئة تحرير الشام.

والأشاعرة[65] للهجوم بشكل مباشر، لأن هيئة تحرير الشام تسعى لاستيعاب رجال الدين الأقل مستوى. يؤكد الفرغلي أنه من المناسب القتال إلى جانبهم ضد عدو مشترك. من ناحية أخرى، لا يزال الفرغلي ثابتًا في معارضته الدينية للشيعة والعلويين ومن يسمون (الخوارج). يُلام الشيعة على دورهم في دعم النظام، يشار بالخوارج إلى داعش، والعلويون مرتبطون بالسلطات الحاكمة. بشكل عام فإن الكتاب لا يزال يحافظ على المعارضة السلفية للديمقراطية باعتبارها معادية بشكل أساسي لتنفيذ تشريعات اللَّه، ومع ذلك فهو يطور مقاربة عامة للدولة الإسلامية (وليس التنظيم) على أساس مقاصد الشريعة الإسلامية.

ومع ذلك، فقد طورت هيئة تحرير الشام نهجًا دينيًا أكثر شمولاً مع مرور الوقت. من دون تغيير معارضتها الدينية للديمقراطية والعلمانية[66]، طورت الجماعة خطابًا عامًا قائمًا على السياسات المتوافقة مع الشريعة الإسلامية (السياسات الشرعية). هذا المفهوم مرتبط بابن تيمية. يهدف إلى إضفاء الشرعية على المواقف السياسية البراغماتية داخل التقاليد الإسلامية. تبرر هيئة تحرير الشام إعطاء الأولوية لأعداء محددين من خلال تبرير أن الحرب هي مسألة بقاء تتطلب تنازلات.[67] لم يتم تحديد هذه التنازلات ولكن يمكن أن تشمل بسهولة التحالف مع تركيا والقبول الضمني لاتفاقيات سوتشي. يحظر تطبيق مفهوم التكفير على الأفراد لمنع الإفراط في استخدامه.[68] بينما يظل التكفير مفهومًا شرعيًا، يصر علماء هيئة تحرير الشام على أن المسلمين قد يكونون جاهلين ببعض القضايا الدينية ويجب أن "يُعذروا". "العذر بالجهل" مفهوم مركزي للسلفيين الذين لا يريدون الإفراط في تطبيق آرائهم الدينية. في سوريا، يعكس ذلك الاستراتيجية التي اختارتها هيئة تحرير الشام للتقارب مع السكان ووسيلة لضمان التعايش بين مختلف وجهات النظر الدينية في مشروعهم. في كلية الشريعة في إدلب، يتم تدريس العقيدة الدينية السلفية ولكن يتم التأكيد كذلك على دراسة الفقه المقارن، مع تأكيد خاص على المذهب الشافعي لأنه الأكثر شيوعًا في إدلب. يقر نائب عميد كلية الشريعة بأننا "*تبحث عن أرضية مشتركة تسمح بالتدريس للجميع، ومن أجل*

---

[65] العقيدة الأشعرية نهج سائد في العقيدة الإسلامية. إنه البديل الرئيسي للعقيدة السلفية.

[66] هيئة تحرير الشام، "مبادئ هيئة تحرير الشام"، 2017، مأخوذ من قناة التلغرام لهيئة تحرير الشام.

[67] هيئة تحرير الشام، "الجهاد والسياسة الشرعية بين الثوابت والمتغيرات". ثورة الشام لن تموت "2018 و" بيان المجلس الشرعي حول أحداث الديرة في الغوطة الشرقية "، 2017، مأخوذ من قناة تلغرام هيئة تحرير الشام.

[68] هيئة تحرير الشام، "تعميم (17/ 2)"، 2017، مأخوذ من قناة التلغرام التابعة لهيئة تحرير الشام.

ذلك، فإننا نرفض استخدام مفهوم التكفير بيننا. لا أحد يستطيع أن يقول إن الآخر خارج الإسلام".[69]

أصبح النهج المنقح للسلفية ممكنًا من خلال مأسسة السلطة الدينية الداخلية. وضعت هيئة تحرير الشام قواعد وإجراءات أوضح لتنظيم من يمكنه إصدار أحكام دينية وكيف. إن طريقة العمل هذه إجرائية أكثر من كونها عقدية. سعى إضفاء الطابع المؤسسي إلى توجيه الأصوات المتضاربة داخل الجماعة من خلال احتواء معارضة رجال الدين المقاومين عن طريق المعايير المؤسسية والإدارية. أصر أبو محمد الجولاني على أن "*هناك الآن نظام عام يجب على الجميع الالتزام به* " في إشارة إلى الخلافات الداخلية.[70] وبحسب أبو عبد اللَّه الشامي، "*أجبرنا في البداية على قبول الأصوات المعارضة. لكننا، تدريجيًا، نجحنا في تثبيت النظام الداخلي من خلال وضع القواعد والقوانين* ". وأضاف أحد القادة الدينيين وعضو مجلس الشورى في هيئة تحرير الشام أنه "*يمكنك الآن الحكم على مخالفة القانون وليس بالضرورة على الفكرة نفسها. لقد وضعنا أرضية مشتركة للمناقشات* ".[71] حدث هذا التحول تدريجياً. أولاً، حرمت الجماعة استخدام التكفير خارج هيئة الفتوى التابعة لمجلسها الشرعي، والتي توقفت فعليًا عن تطبيقه. ثم حرمت "*نشر الفتاوى والأحكام قبل مراجعتها من قبل المجلس الشرعي العام*".[72] تم استخدام هذه القواعد لإسكات الأصوات المعارضة، بما في ذلك بعض رجال الدين المصريين في هيئة تحرير الشام الذين غادروا سابقًا أحرار الشام عندما بدأت الأخيرة في التعامل مع تركيا. على سبيل المثال، طُرد طلحة الميسر، المعروف أيضًا باسم أبو شعيب المصري، "*لعدم احترامه لسياسات الجماعة بشكل متكرر*".[73] كما تم طرد عالم ديني مصري آخر كان سابقاً في أحرار الشام، محمد ناجي، المعروف أيضًا باسم أبو اليقظان المصري، لعدم التزامه "*علنًا بالإطار الذي وضعته هيئة تحرير الشام من خلال قيادتها ومجلسها الشرعي*". ساهمت هذه الإجراءات العقابية في إضفاء الطابع السوري على المجلس الشرعي للجماعة.[74]

---

[69] مقابلة مع نائب عميد كلية الشريعة، إدلب، ديسمبر 2020.

[70] مقابلة، إدلب، يوليو 2020

[71] مقابلة، إدلب، يوليو 2020

[72] هيئة تحرير الشام، "تعميم"، 2019، مأخوذ من قناة تلغرام هيئة تحرير الشام.

[73] هيئة تحرير الشام، "قرار فصل"، 2019، مأخوذ من قناة تلغرام هيئة تحرير الشام.

[74] استقال أجانب بارزون آخرون، بمن فيهم عبد اللَّه المحيسني، لمعارضة سياسات هيئة تحرير الشام. انظر https://bit.ly/2KW31Tz قاسيون، "المحيسني: استقلت بسبب الهجوم على أحرار الشام"، قاسيون، 13 سبتمبر / أيلول 2017، https://bit.ly/3gopm7y

جاء ذلك في أعقاب حظر منشورات المفكر السلفي الجهادي البارز أبو محمد المقدسي في معسكرات تدريب الجماعة واستنكاره الصريح.[75]

وسار التدريب الأيديولوجي المقدم لأعضاء الجماعة في نفس الاتجاه. إن التدريب لا يهدف إلى غرس الأعراف الدينية بقدر ما يهدف إلى إنتاج العزم في القتال وتأكيد خط سياسي معين.[76] من ناحية أخرى، تواصل هيئة تحرير الشام تقديم الصراع بمصطلح "النصيرية" و "الروافض" – وهي مصطلحات ازدرائية تشير على التوالي إلى العلويين والشيعة – الذين يقاتلون "*الوجود الإسلامي والسني في بلاد الشام*" في "*معركة بين الكفار وأتباع الأنبياء*". وبحسب الجماعة فإن "*الضالين – أهل الباطل – لا يمكنهم تحمل وجود حاملي الحقيقة بينهم، وبالتالي يجب طردهم*".[77] ومع ذلك، من ناحية أخرى، لم تعد هيئة تحرير الشام تصر على العديد من المفاهيم السلفية الأساسية مثل الولاء والبراء وعدم الاستعانة بالكفار، وردة الحكام المسلمين، والسيادة العليا للشريعة الإسلامية (الحاكمية).[78] ويذكر رجل دين مطلع على التنظيم أن "*قادتهم تحدثوا كثيراً في السابق عن مسألة السيادة الإسلامية. لم يعد الأمر كذلك الآن، فهم يقصرون أنفسهم على القول إن ما يريده التنظيم هو سقوط بشار، دون الخوض بعمق في طبيعة البديل* ".[79] يعتقد قاضي محكمة سابق مقرب من التنظيم أن "*مناهج التربية الدينية قد تغيرت. فقد كان يتم ربط المتدربين سابقاً بفقه الجهاد، بالإضافة إلى إدانة النزعات الباطنية الموجودة في الإسلام الصوفي، والمواجهة مع الشيعة، وتنقية المعتقدات. لكنهم تغيروا في الآونة الأخيرة. يقومون بتدريس فقه النوازل والأزمات وفقه الواقع،[80] بدلاً من التركيز على فقه الجهاد كما في الماضي. لقد انفتحت آفاق جديدة* ".[81] أبو عبد اللَّه الشامي يبرر هذا التغيير بتغير الواقع الاجتماعي للجماعة. يناقش بأن "*الشريعة تبقى مرجعنا. ما زلت مقتنعًا بهذه المفاهيم في قلبي. ولكن هناك شروط لتطبيقها. هذا لا يفهم بالضرورة من قبل الجنود. لا يمكنني مناقشة هذه القضايا إلا مع*

---

[75] هيئة تحرير الشام، "بيان بحق" عاصم البرقاوي، الملقب بـ "أبو محمد المقدسي"، 2020، مأخوذ من قناة تلغرام لهيئة تحرير الشام.

[76] للحصول على أمثلة لهذه المواعظ، انظر: https://bit.ly/3pMtlsz. انظر أيضًا مظهر الويس في عرض تقديمي لبرنامج "سؤال الناس للتذكير" حول الشجاعة في الإسلام، حيث يعتبر الجهاد مثالًا للشجاعة في القرآن دون الخوض في التفاصيل. https://bit.ly/2MoyMF4.

[77] مداخلة مظهر الويس أحد قيادات الحركة https://bit.ly/355Jt6d. معظم المواد المتاحة على الإنترنت تسير على نفس المنوال.

[78] شهادات من الأشخاص الذين خاضوا هذا التدريب، مكالمة واتساب، مايو 2020.

[79] مكالمة واتساب، مايو 2020

[80] تهدف هذه القضايا الفقهية التي يتم تدريسها في المراجع السلفية التقليدية إلى التعامل مع الأسئلة المعاصرة المنفصلة عن الأسئلة التقليدية للفقه. إنها طريقة للانفصال عن مجموعة السوابق القضائية الملزمة مع الحفاظ على الشرعية الدينية.

[81] يؤكد "فقه الواقع" على الظروف الحالية التي يتم فيها تطبيق مبادئ وقواعد الشريعة الإسلامية.

الأشخاص الذين يصلون إلى مستوى معين من الفهم. كثير من الجنود لا يستطيعون فهم الولاء والبراء على سبيل المثال. وهم لا يحتاجون إلى هذه المستويات من التفاصيل ".[82]

إن تغيير الاتجاه واضح، ولكنه ليس مبنياً على عقيدة جديدة. ووفقًا لباحث أجنبي متابع عن قرب للجماعة، فإن "*لقد أمضى قادة تحرير الشام الدينيون وقتًا أطول في تبرير سياسات مثل الموافقة على إدخال الأتراك أو دعم وقف إطلاق النار، دون تقديم رؤية أيديولوجية جديدة لمقاتليهم. من وجهة النظر هذه، لم يتم إزالة التشدد عن أعضائها* ".[83]

واجهت السياسة الجديدة التي تبنتها القيادة بعض المقاومة الداخلية. كان من الصعب في بعض الأحيان تسويقها للقادة ذوي الرتب المتوسطة. وبحسب قاضٍ سابق مقرب من الجماعة، "*هناك مؤشرات واضحة على أننا وصلنا إلى مرحلة أصبح من الضروري فيها تنقيح المناهج. لكن بعض الناس يرفضون التوجهات الجديدة لهيئة تحرير الشام وحكومة الإنقاذ السورية، بسبب قبول سلوك معين كان محظورا سابقًا، يُنظر إليه على أنه تمييع للمبادئ القديمة. ما تم حظره بالأمس يصبح مشروعًا اليوم* ".[84] يعتبر اثنان آخران من الخريجين من المعاهد الشرعية المقربة من هيئة تحرير الشام أن المجندين الأوائل بشكل أساسي من أيام جبهة النصرة هم الذين في قلب مقاومة التغيير. يوضح نائب عميد كلية الشريعة أنه في بداية الدورات الجامعية، يمكن أن يكون بعض الطلاب متشددين، وخاصة أولئك الذين انضموا للتشكيلات العسكرية والعقائدية في زمن جبهة النصرة: "*كانوا بحاجة إلى هذا التدريب. قبل أقل من عام كنا نقاتل أسوأ عدو لذا، من أجل القتال، يجب أن يكون لديك إرادة من حديد تتعزز بهذه الأفكار. حان الوقت الآن لتصحيحها بعناية* ".[85]

تمثل إدارة القرى المسيحية الثلاث الأخيرة مثالاً للتحولات الداخلية داخل هيئة تحرير الشام.[86] مرت هذه القرى بأوقات عصيبة منذ بداية الصراع. يتذكر السكان المحليون الفوضى التي سادت عندما سيطرت مجموعات الجيش السوري الحر على المنطقة منذ "*ذلك الوقت كان*

---

[82] مقابلة، إدلب، ديسمبر 2020

[83] مقابلة واتساب، مايو 2020

[84] مقابلة واتساب، مايو 2020

[85] مقابلة مع نائب عميد كلية الشريعة في جامعة إدلب ديسمبر 2020.

[86] هذه القرى هي الجديدة، قنية، اليعربية. إنها قرى مختلطة يسكنها مسلمون أيضًا. يستضيفون ديرين فرنسيسكان وخمس كنائس. يعيش هناك أكثر من 700 فرد يمثلون 240 عائلة. مقابلات مع وجهاء محليين مسيحيين ووجهاء دينيين، إدلب، ديسمبر 2020.

هناك الكثير من عمليات النهب واحتلال المنازل، لكن لم يكن لدينا أي طرف لنتحدث إليه ". كانت الدولة الإسلامية (داعش) موجودة لفترة قصيرة. لقد فرضت نظاماً قاسيًا استمر بضعة أشهر قبل أن تفرض ممارساتها الخبيثة أيضًا.[87] عندما بدأت هيئة تحرير الشام وحكومة الإنقاذ السورية في بسط سلطتها في 2017–2018، تضررت العلاقات بين المجتمعات بشكل خطير. كانت خطابات الكراهية شائعة، بينما توقفت المباركات خلال الاحتفالات الدينية والمشاركة في جنازات الطوائف الأخرى. كما ظلت عشرات المنازل مسكونة من قبل مدنيين من مناطق أخرى.[88] تمت معالجة هذا الواقع في البداية من خلال زيارات رسمية للمناطق بدأها رجال دين رفيعو المستوى في هيئة تحرير الشام، بمن فيهم أبو عبد اللَّه الشامي. ثم بدأ ممثل حكومة الإنقاذ المحلي لمنطقة جسر الشغور في الاتصال بانتظام مع رجال الدين المسيحيين المحليين وكبار الشخصيات. في حين أنه من السابق لأوانه تقييم نتيجة هذه الجهود، هناك تطور (جيلي) واضح في العمل. يظهر جيل جديد من مديري الطبقة الوسطى المتعلمين يتحدثون عن سلطة القانون والمؤسسات. إنهم يشاركون في بناء الثقة مع رجال الدين المسيحيين والأعيان لتحقيق الاستقرار في المنطقة وإيجاد حلول عملية.[89] إنهم يريدون ضمان سلطة حكومة الإنقاذ ضد "الإرث" الموروث من سنوات تعايش الفصائل.

كما عززت مواجهة الفصائل الثورية والإسلامية مع داعش الضغط الداخلي على الأصوات المتشددة في صفوف هيئة تحرير الشام. لا يزال التشدد موجوداً، ولكن على مستوى بعض المقاتلين الموجودين في القاعدة وداعش ولكنهم لا يستطيعون إظهار أنفسهم بسبب السياسات الأمنية لهيئة تحرير الشام التي تستهدف الانتساب إلى داعش. بالنسبة لأستاذ سابق في كلية الشريعة في إدلب، ***"انتقل الصراع مع داعش من ساحة المعركة إلى معركة***

---

[87] ادعى تنظيم الدولة الإسلامية في البداية تنظيم هذه المناطق بناءً على ميثاق عمر، وهو تفاهم بين مسيحيي سوريا والخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز في القرن الثامن. كفل الميثاق الحماية المسيحية مقابل سلسلة من الشروط، تتعلق بشكل رئيسي بالحضور العام للطقوس أو الرموز المسيحية (صفا، إيزابيل. « «Le pacte d'Umar، Les Cahiers de l'Orient ، المجلد 118 ، رقم. 2، 2015، ص 23–25).

[88] نقاشات مع أهالي القرى الثلاث، إدلب، ديسمبر 2020. احتلال المنازل ليس حكرا على التجمعات المسيحية. حفز ضغط النازحين والسيطرة الفئوية على الاستيلاء على المنازل في جميع أنحاء محافظة إدلب. لكن ارتفاع مستوى التغيب في المناطق المسيحية أدى إلى تفاقم الظاهرة هناك.

[89] تشير مناقشاتنا مع السكان المحليين إلى بقاء العديد من القضايا الدينية، بما في ذلك استحالة قرع الأجراس. كما أعربوا عن أسفهم لتأثير التطورات الخارجية، بما في ذلك الجدل الأخير حول نشر الرسوم الكاريكاتورية في الدول الغربية، على التماسك الاجتماعي المحلي. لكن المطالب الأكثر أهمية هي إلى حد ما علمانية، بما في ذلك الإسكان وممتلكات الأرض والضرائب والتعايش الاجتماعي. يعد ممثلو حكومة الإنقاذ بإصدار قانون جديد لأملاك الغائبين لإضفاء الطابع المؤسسي على عمل لجنة المتابعة التي تم إنشاؤها سابقًا من قبل حكومة الإنقاذ لمعالجة المطالبات المحلية المتعلقة بإشغال الأراضي والمساكن، وكذلك فرض الضرائب على الإيجار الزراعي (مقابلات، إدلب، ديسمبر 2020).

الأفكار. كانوا يسمون أنفسهم إخوة المنهج، ولكن بعد المواجهة انتقلت الأزمة إلى مجال المفاهيم الدينية. بدأت الأفكار في التحول. القادة المتشددون جدا متهمون الآن بـ "الدعشنة" ".[90]

تقدم هذه الديناميكيات فجوة بين تطور النهج السياسي والعقيدة الدينية التي لم تمس في أسسها. في الواقع، المواقف السياسية تتغير بوتيرة أسرع من الثقافات العسكرية. الثقافة العسكرية هي المكان للتعبير عن الهويات الأيدولوجية بامتياز وإظهار المزيد من الجمود. وبالتالي، يعتبر ناشط، وهو عضو في عائلة عسكرية قريبة من هيئة تحرير الشام، أنه "***من خلال التقليص الكبير للخطاب الديني داخليًا، يكمن الخطر في أن المسلحين يمكن أن يفلتوا إلى الجماعات الأكثر تطرفاً مثل حراس الدين أو خلايا داعش. الخطاب الديني لا يمكن أن يتغير بسرعة كبيرة بدون المخاطرة بفقدان قواعده الاجتماعية*** ".[91]من وجهة النظر هذه، تظل السلفية مرجعية أيديولوجية قوية في الإنتاج القياسي الديني للمؤسسات التي تدور في فلك هيئة تحرير الشام. ومع ذلك، لم يعد من الممكن اعتبار السلفية حزمة شاملة قادرة بمفردها على تحديد الواقع الأيديولوجي بأكمله في المناطق التي تسيطر عليها هيئة تحرير الشام. أصبح التدريس متنوعاً، والتنوع الديني – السني – مقبولاً في المجال الديني. وعلى عكس المجال السياسي، فإن هيئة تحرير الشام تقوم بالقليل للسيطرة على المجال الديني.

2- إدارة الحقل الديني: سؤال القبول والسيطرة

تُلقي إدارة المؤسسات الدينية مزيدًا من الضوء على السياسات الدينية لهيئة تحرير الشام. تخلت هيئة تحرير الشام عن مشاركتها القوية في المجال الديني، والتي تُركت للآخرين وتم الاستعانة بمصادر خارجية مثلها مثل قطاعات التعليم والصحة والمساعدات الإنسانية. لا يُنظر إلى المجال الديني على أنه أداة لأسلمة المجتمع بقدر ما يُنظر إليه على أنه مساحة للسيطرة الضعيفة على المعارضة المحتملة.

[90] مقابلة واتساب، أبريل 2020

[91] مقابلة، هاتاي، مارس 2019

وبحثًا عن القبول الاجتماعي، كسرت هيئة تحرير الشام الصورة النمطية عن السلفية الجهادية،[92] وذلك بتبنيها المدارس المذهبية التقليدية. هذا الاختيار تم لسببين: الأول هو مسألة إعادة التجذر المحلي. كان اعتماد المدارس الفقهية قد نوقش في السابق لسنوات عديدة في جبهة النصرة. وقد تم تأكيد ذلك بعد الانتقال إلى مرحلة الحكم: "*نحاول دائمًا أن نرسخ في الجماعة فكرة الاعتماد على المذاهب الفقهية لأنها وسيلة للاقتراب من الناس*"، كما صرح أبو عبد اللَّه الشامي، وهو أيضًا رئيس المجلس الشرعي الأعلى. يتم تدريس المذاهب الفقهية في الدورات التدريبية الداخلية للجماعة.[93] من بين المذاهب الفقهية الأربعة المهيمنة، اختارت هيئة تحرير الشام المذهب الشافعي بدلاً من المذهب الحنبلي، على الرغم من أن الحنبلي أقرب تاريخياً إلى السلفية السعودية وأكثر انسجاما مع الطريقة السلفية.

وبالتالي، لم يتم اختيار الشافعية على أساس الاعتبارات العقائدية (القرب من العقيدة السلفية) ولكن بشكل أكثر واقعية لأنه "مذهب غالبية السكان"، كما أكد أحد أعضاء المكتب السياسي لهيئة تحرير الشام.[94] من الواضح أن المنطق السياسي يلعب دوره، حيث لا يتم الاستشهاد بالصفات الجوهرية للمرجعية الشرعية المنتقاة، بل بتأثيرها الاجتماعي. إنه منطق سياسي يبرره اعتماد الجماعة على السياسات المتوافقة مع الشريعة (السياسة الشرعية).

المنطق الثاني لإعادة تأهيل المذهب هو مسألة السيطرة. إن إعادة تأهيل المدارس الفقهية جزء من استراتيجية القوة التي تجعل من الممكن الحد من تأثير مصادر السلطة المنافسة. الهدف هو ضبط الخطاب الديني العام بإضفاء الطابع المؤسسي عليه. ويرى بسام صهيوني، أحد أبرز أعضاء المجلس الأعلى للإفتاء، "*أن المذاهب الفقهية هي من أكثر الطرق أمانًا للحفاظ على التوجه الفكري الصحيح والمبتكر وتطبيق القوانين والأخلاق ومبادئ الإسلام. في المقابل، فإن التخلي عن احترام هذه المذاهب سيؤدي إلى تراجع العمل الفقهي على أساس التفكير العادل والصالح*".[95] إن العودة إلى المذاهب الفقهية يوفر استراتيجية لتنظيم

---

[92] تشكك السلفية الجهادية في دور رجال الدين الذين يدعمون الأنظمة بسبب "ردتهم"، وفي دور مدرسة الفقه التي يعتمد عليها رجال الدين الرسميون.

[93] مقابلة مع عضو المجلس الشرعي الأعلى، إدلب، يوليو 2020.

[94] مقابلة، مارس 2020

[95] بسام صهيوني، "الصفحة الشخصية"، تويتر، https://bit.ly/2JEfBpO

التطرف الموجود في صفوفهم. ساهم المذهب في مأسسة الخطاب الديني، والذي أدى إلى تهميش شيوخ الجهاد العالمي وإسكات الأصوات المعارضة داخل الجماعة. كما تم تسهيل إضفاء الطابع المؤسسي على السلطة الدينية من خلال توحيد الهياكل الإدارية تحت سلطة حكومة الإنقاذ.

كما أدى إلغاء المحاكم الفصائلية وإضفاء الطابع المؤسسي – الذي لم يكتمل بعد – إلى حرمان القادة العسكريين، الذين غالبًا ما كانوا على رأس المحاكم الإسلامية المحلية، من سيطرتهم على السكان.[96] يتم الإشراف على تطبيق قواعد القوانين الموحدة في المحافظة من قبل المحاكم وليس من قبل رجال الدين. بالنسبة لأبو عبد اللَّه الشامي، "*لا يمكننا فرض جميع أحكام الشريعة في مسائل القانون الجنائي، هذا أمر من اختصاص المحاكم. نحن في مرحلة الاستضعاف وهذا يجعل من المستحيل تطبيق قواعد معينة من النظام الإسلامي (عدم التمكين). هذا لن يعزز مصالح المجتمع* ".[97] وبنفس الطريقة، يعتبر رئيس المجلس الشرعي لهيئة تحرير الشام أن مؤسسة الحسبة يجب أن تتحقق عن طريق الدولة الحديثة، أي الوزارات ذات الصلة في حكومة الإنقاذ السورية.[98] قالت امرأة تقود جمعية لدعم النساء وتوعيتهن سياسياً: "*انخفض الضغط على السلوك الفردي مع إنشاء هيئة تحرير الشام. في السابق، لم يكن من المعقول تخيل أن النساء يمكن أن يتحدثن عن السياسة بهذه الطريقة. كما اختفى الضغط على ارتداء النقاب* ".[99] انخفضت الرقابة الدينية للجماعة، وانخفضت حالات أحكام الإعدام، ولكنها لم تختف.[100]

---

[96] لا يزال القادة المسؤولون عن الأمن، وفي بعض الأحيان أجانب، يعالجون قضايا أكثر حساسية مثل الاستخبارات مع النظام أو روسيا، وخلايا داعش، والجرائم المنظمة كما ذكرنا سابقًا (مقابلات مع سجناء سابقين في محاكم غير تابعة لحكومة الإنقاذ السورية، اسطنبول، أغسطس – سبتمبر 2020).

[97] مقابلة، إدلب، يوليو 2020. يشير أبو عبد اللَّه هنا إلى مفاهيم مهمة في الفقه الإسلامي تستخدم لشرح عدم تنفيذ أوامر قضائية محددة.

[98] مقابلة، إدلب، يوليو 2020

[99] مقابلة، هاتاي، أكتوبر 2019. الحجاب، على عكس النقاب، شائع في أماكن الترفيه والمطاعم للطبقة المتوسطة. أوضح ناشط سابق في جبهة النصرة من عائلة دمشقية ثرية أن "هذا الوضع جديد. ارتدت جميع النساء النقاب بعد تحرير إدلب. يثير التحول الحالي غضب المتشددين الدينيين، لكن لا يمكن ممارسة المزيد من الضغط على المجتمع أو قد يخرج عن السيطرة "(مقابلة، إدلب، كانون الأول / ديسمبر 2020)

[100] انظر أيضاً سوريون من أجل الحقيقة والعدالة، "موجة أخرى من عمليات الإعدام بإجراءات موجزة من قبل هيئة تحرير الشام في إدلب،" سوريون من أجل الحقيقة والعدالة، 05 يونيو / حزيران 2020، https://bit.ly/3mVLNUe

تعتمد حكومة الإنقاذ على المجلس الأعلى للإفتاء، وهو مؤسسة مرجعية دينية تم إنشاؤها في أوائل مارس 2019، لتنظيم الآراء الدينية العامة (الفتوى)، والتي يتم اصدارها الآن بناء على المداولات الجماعية. يتم تضمين الأصوات المخالفة، لكنها لا تسيطر على المؤسسة لأن المجلس الأعلى للإفتاء يرأسه مستشارون مقربون من الجولاني. إن مأسسة القيادة الدينية تحت راية المجلس الأعلى للإفتاء يهدف إلى تقويض سلطة المفكرين الجهاديين السلفيين العالميين وإضعاف نفوذ باقي المتشددين في الداخل: "*حرصنا على مشاركة الجميع، الصوفيون، الأشعريون، المشايخ المرتبطون بفصائل أخرى. لم يكن هدفنا احتكار الفتوى بل إنشاء هيئة ذات شرعية قادرة على فرض نفسها كمرجع لا جدال فيه. آراء المجلس الأعلى قليلة لكنها قوية. كما أنها تهدف إلى منع الناس من اتباع فتاوى من الخارج وخاصة أبو محمد المقدسي وهاني السباعي وآخرون.*" كما بين أبو عبد اللَّه الشامي.[101] يمكن لعلماء الدين التعبير عن مواقفهم داخل هذا المجلس المملوء برجال دين محليين وغير متشددين، لكن أصواتهم المنفردة لم تعد ذات تأثير علني. كان هذا الإجراء من خلال مأسسة الخطاب الديني مفيدًا بشكل خاص لقيادة الجماعة في الضغط من أجل قبول الوجود التركي ودعم القوات المقاتلة في إدلب اليوم، وهو موقف رفضته الجماعة في الماضي.[102] المجلس الأعلى للإفتاء، حتى الآن، يقتصر عمله على إصدار بعض الفتاوى التقليدية في قضايا مثل الزكاة ورمضان.[103] لا تحاول هيئة تحرير الشام استخدامه للترويج لوجهة نظر معينة عن العالم أو للدعوة إلى الاعتدال أو، في المقابل، الترويج للسلفية. في غضون عامين من العمل، أصدر المجلس الأعلى للفتوى عددًا محدودًا نسبيًا من الفتاوى،[104] وفقط حول مسائل تعبدية توافقية، باستثناء الفتوى الأخيرة حول رسوم شارلي إبدو الكاريكاتورية.[105]

كما أن إدارة هيئة تحرير الشام للمؤسسات الدينية الأخرى مثل المساجد والتعليم الديني متسقة تمامًا. حاولت الجماعة التدخل في البداية، لكنها بعد أن أدركت ضعفها وعدم

---

[101] مقابلة، إدلب، يوليو 2020

[102] على سبيل المثال، انسحبت الجماعة من شمال حلب حتى لا تدخل في تحالف مع تركيا في عام 2015. إلياس غرول، "جبهة النصرة توقف القتال شمال حلب مع تركيا والولايات المتحدة لإنشاء 'منطقة آمنة'،" فورن بوليسي، 10 أغسطس 2015، https://bit.ly/3lPzsiT

[103] تبادل كتابي مع رجل دين مقرب من هيئة تحرير الشام، مايو 2020.

[104] الطبيعة المحدودة لمخاطبة الجماهير لا تعني أن المجلس الأعلى للإفتاء غير نشط. في الواقع، فإن الكثير من عمله عبارة عن توجيه مباشر للأفراد أو بشكل أكثر أهمية الوزارات المختلفة في حكومة الإنقاذ. كما تتم مراجعة جميع القوانين التي سنتها الأمانة العامة الحكومية من قبل المجلس الأعلى للإفتاء (مقابلة مع 3 من أعضاء المجلس الأعلى بحضور وزير الشؤون الدينية، تموز / يوليو 2020).

[105] المجلس الأعلى للفتوى، "في تكرار انتشار الصور التشهيرية للنبي محمد" 2020، مأخوذ من قناة المجلس على التليجرام.

قدرتها على فرض آرائها الدينية، قررت تفويض العديد من الوظائف الدينية مع التركيز على الحد من الخلافات السياسية.

في البداية، حاولت هيئة تحرير الشام في بعض الأحيان تغيير جزء من الكادر الديني. ففي الأماكن التي كان فيها ميزان القوة في صالح الجماعة، حاولت وضع رجالها. تمكنت الجماعة من طرد الأئمة المنتقدين من مناصبهم في مناطق نفوذها. لكن في أماكن أخرى، كان على هيئة تحرير الشام الاعتراف بالمقاومة المحلية. وهكذا كانت مدينة معرة النعمان – وهي جيب قديم مقاوم لجبهة النصرة ومن ثم لهيئة تحرير الشام– قبل أن يحتلها النظام أبقت على أئمة ومؤذني مساجد الحي، والدعاة المعروفين على حالهم، وذلك بسبب المعارضة من قبل العائلات المحلية الكبيرة مثل عائلة العلوان في معرة النعمان. بالمقابل، فقد أصبحت هيئة تحرير الشام على معرفة بقدراتها مع مرور الوقت. على الرغم من إصرار هيئة تحرير الشام على أنها أزالت رجال الدين المعارضين للثورة أو المؤيدين للنظام، إلا أن قاضٍ سابق في هيئة تحرير الشام يتذكر أن "*هيئة تحرير الشام حاولت في البداية تغيير رجال الدين الذين عارضوا آرائها واستبدالهم بشباب خرجوا من معسكراتها التدريبية الأيديولوجية. لكنهم اضطروا إلى إعادة الكوادر القديمة لسببين: تعويض النقص والضعف في كوادر الهيئة، وامتصاص الغضب الشعبي*".[106] بسبب افتقار هيئة تحرير الشام إلى موظفين بدلاء، وعدم رغبتها في الانخراط في توازن دقيق للقوى مع السكان المحليين فيما يتعلق بالسيطرة على المساجد، فإن هيئة تحرير الشام تدير رجال الدين – الذين تسميهم اللغة الشعبية "الشيوخ المحليين" (شيوخ الحارة) – من خلال مزيج من الامتيازات والتسامح والضغط، وتختلف النسب وفقًا للتوازن المحلي للقوى في سياسة الرعاية الكلاسيكية: "*إن المشايخ المعروفين، والمعترف بهم من قبل الوجهاء المحليين والمقدرين من قبل الناس سيتم التواصل معهم من قبل وزارة الشؤون الدينية في حكومة الإنقاذ والتي ستحاول التأثير عليه. في أسوأ الأحوال، إذا عارض توجيهاتها، فإنه يخاطر بالتعرض للفصل* ".[107] يقر وزير الأوقاف والشؤون الدينية، إبراهيم شاشو، بأننا "*ندير حاليًا أكثر من 1200 مسجد. ويبلغ عدد العاملين في كل مسجد حوالي 5 أشخاص. من المستحيل بالنسبة لنا استبدالهم. نحن لا نحاول الضغط من أجل توجه أيديولوجي محدد، أو تغيير الكوادر. نحن لا نرفض أي طالب علم ولا نصنف الناس بين سلفيين*

[106] تبادل مكتوب عبر الواتساب مع قاض في إدلب، مايو 2020

[107] مقابلة واتساب مع قاض سابق، مايو 2020

وأشاعرة وصوفية ".[108] حاليا التدخل الفعال هو ضئيل جدا. لا يتم فرض محتوى الخطب من الأعلى. وبينما يتم تشجيع الدعاة المحليين على نقل مواقفهم بشأن أحداث معينة (مثل حملات جمع التبرعات)، لا يسمح لهم بالترويج لآراء دينية محددة. في الواقع، في مدينة إدلب، على سبيل المثال، هناك 46 مسجدًا ولا يزال 40 منها يديره الكادر الذي شغلها قبل إنشاء حكومة الإنقاذ السورية.[109]

وبنفس الطريقة، فإن حلقات العلم الموجودة في المساجد لا تزال قائمة. وهيئة تحرير الشام لا تحاول فرض آرائها الدينية. وتقوم وزارة الشؤون الدينية بدور الإشراف عليها رسمياً، بينما الهيئات المسؤولة متعددة، تتراوح من وزارة الشؤون الدينية التركية (وقف الديانة التركي) إلى المجلس الإسلامي السوري المتحالف مع المعارضة في الخارج والذي يجسد علماء دمشق الذين راهنوا على الثورة، دون أن ننسى معهد الإمام النووي التابع للصوفية.[110]

في المعاهد الشرعية، تعد سياسة التسامح وعدم التدخل بالإضافة إلى توازن القوى الذي ليس في مصلحة الهيئة من الأسباب التي قللت من رغبتها في السيطرة. وهكذا، يتذكر أحد المعلمين السابقين في المعهد الشرعي للإمام النووي، وهذا المعلم موجود الآن في تركيا، أنه "*اعتبارًا من عام 2015 افتتحنا أكثر من 30 فرعًا في الأراضي المحررة. حاولت هيئة تحرير الشام التدخل في المناهج قبل حوالي ثلاث سنوات عندما كانت رغبتهم في السيطرة واضحة. يريد مسؤولو أمن التعليم في هيئة تحرير الشام فرض رقابة على كتبنا المدرسية، ثم الضغط من أجل إجراء تغييرات على المحتوى. نحن قاومنا، وحشدنا وسائل الإعلام، وفي النهاية استسلموا. هم يستجيبون لوسائل الإعلام. لقد تغير الضغط بعدها أصبحوا يركزون على الأشخاص الذين تعرضوا للاعتقالات العرضية* "[111]. وتجدر الإشارة إلى أن هيئة تحرير الشام لم يعد لديها معاهد شرعية خاصة بها. يشير رجل دين له صلات قوية بهيئة تحرير الشام أن التعليم الديني لم يخضع لنفس جهود الاندماج المؤسسي مقارنة بالمجالات الأخرى: "*كانت هيئة تحرير الشام تدير معاهد شرعية للتعليم الديني لمقاتليها، لا سيما في المعاقل*

---

[108] مقابلة، إدلب، يوليو 2020

[109] مقابلة مع رجل دين محلي، إدلب، يوليو 2020

[110] لقاءات مع مسؤولين من المجلس الأعلى للإفتاء ووزارة الشؤون الدينية، إدلب، تموز 2020. تأسس معهد الإمام النووي عام 1962، وهو تابع للصوفية الأشاعرة، التحق المعهد بالحركة الثورية عام 2011، يحظى بحماية فصيل فيلق الشام القريب من الاخوان المسلمين وتركيا. مكالمات واتس آب مع أساتذة المعاهد وشيوخ الصوفية، مايو – يونيو 2020

[111] مقابلة واتساب، مايو، 2020

التاريخية لجبهة تحرير الشام مثل مدن حارم وسلقين على سبيل المثال. لكنهم أغلقوها في عام 2017 واعتمدوا بعد ذلك بشكل غير رسمي على التدريبات الأيديولوجية أثناء معسكرات التدريب العسكري وعلى التجمعات التي كان رجال الدين المرتبطين بالتنظيم يقيمونها في المساجد".[112] بصرف النظر عن بعض الجهود المستقلة التي بذلها زعماء دينيون سابقون للفصائل التي هزمتها هيئة تحرير الشام، يظل تأهيل الأئمة في أيدي المؤسسات التقليدية مثل معهد الإمام النووي الذي يعد الجهة الرئيسية التي تعد رجال الدين المحليين.

كذلك توقف الضغط من قبل هيئة تحرير الشام على الصوفية. زمن جبهة النصرة، كان الضغط قويًا على الأفراد بقدر ما كان على الطقوس حول الأضرحة، حتى حدث تدمير لبعض منها.[113] "*كانت الحرب ضد الصوفيين شديدة للغاية، وخاصة من المقاتلين الأجانب الذين يرون في الصوفية علامة على المعصية. وبما أن بلادنا ليس لديها أي منظمات صوفية منظمة، فإن الصوفية كانت قدرتها ضعيفة على المقاومة* " كما يتذكر شيخ صوفي. "*كان هناك جناح متشدد في صفوف جبهة النصرة، والذي رأى الصوفيين والأشاعرة كأعداء. إن المصريين في جبهة النصرة هم من يمثلون هذا الجناح. لقد هاجموا مشايخ الصوفية، نعم. إنهم على علاقة ثأرية أيديولوجية مع الصوفيين. لكنهم الآن مهمشون* ".[114] في الوقت الحالي، لا يوجد توجيه يحظر صراحة الصوفية، على الرغم من أن الصوفية تتهم أحيانًا بالسحر.[115] حالياً، "*لا توجد إرادة منظمة من جانب هيئة تحرير الشام أو حكومة الإنقاذ السورية لمعالجة الصوفية*"، *كما عبر هذا الشيخ القريب من الصوفية. الولاء للجماعة أهم من فرض أيديولوجية* ".[116] سياسة مشابهة يتم تطبيقها في مجال التعليم. ومن القضايا الخلافية كان فرض هيئة تحرير الشام للرؤية السلفية للعقيدة الدينية في المدرسة الخسروية ومعهد الإمام النووي. لقد تم رفضها في النهاية عن طريق الاتفاق المتبادل. "*لدى المعاهد كامل الحرية في التدريس على النحو الذي تراه مناسبًا. جميع المذاهب الفقهية مقبولة طالما لم يتم إظهار الصوفية بشكل صريح، ولم تقم المؤسسات بتدريس أمور معادية للسلفية أو للمواقف التي تتخذها هيئة تحرير الشام*". كما وضح مدرس في أحد هذه المعاهد.[117] حتى

---

[112] رسائل متبادلة مكتوبة، نوفمبر 2020

[113] عامر باشا: ما معنى هدم ضريح الشيخ محمد النبهان؟، عين المدينة، 15 فبراير 2015، https://bit.ly/33Sr1gJ

[114] مقابلة واتساب مع بروفسور في معهد شرعي، مايو 2020

[115] مقابلة واتساب مع شيخ صوفي من إدلب في تركيا الآن، مايو 2020

[116] مقابلة واتساب مع مدرس سابق في معهد شرعي، مايو 2020

[117] مقابلة واتساب، مايو 2020

كلية الشريعة في جامعة إدلب، رغم دمج المراجع السلفية في مناهجها، ما زالت تعتمد على مناهج كلية الشريعة بجامعة دمشق. ولا يزال هناك علماء صوفيون أشعريون في إدارة الكلية.[118]

في مجال المدارس الحكومية، لم يستمر الضغط كذلك. في البداية، كانت هناك بعض المحاولات لإصلاح التعليم الديني وفرض شعار حكومة الإنقاذ جنبًا إلى جنب مع شعار الحكومة السورية المؤقتة. على سبيل المثال، تم توزيع الكتاب الذي كتبه الفرغلي والمشار إليه سابقًا على المشرفين، لكن تم ترك استخدامه لتقديرهم. [119]وهكذا، في المدارس العلمانية، لم تشهد المناهج الدراسية بشكل عام والتعليم الديني بشكل خاص تغييرات جوهرية.[120] يكمن السبب الرئيسي في المقام الأول إلى غياب الموارد. وهكذا، حتى سبتمبر 2019، كانت شركة Chemonics الأمريكية ترعى التعليم بشكل أساسي. إن السيطرة على هذا المجال كان سيتطلب موارد بشرية وميزانية لم تكن الجماعة مستعدة لدفعها. وزارة التربية والتعليم يقتصر دورها على الإشراف، ويكفيها عدد قليل من موظفي الخدمة المدنية دون الالتزام بإدارة المدارس التي قد تمتلكها. "*السيطرة على قطاع التعليم سيكون بكل بساطة عملاً معقدًا للغاية*"، وفقاً لمحلل محلي.[121] يحاول الموجهون التربويون نشر الثقافة الإسلامية من خلال دورات دعم ودورات تدريبية دينية معينة تُعطى للمعلمين ولكن دون اعتبار ذلك تدخلاً بشكل خاص من قبل أعضاء هيئة التدريس.[122]

لذلك تستثمر هيئة تحرير الشام في المجال الديني، ولكن بطريقة غير أيديولوجية إلى حد ما. إنها تؤمن بمنطق السيطرة السياسية بدلاً من استراتيجية إصلاح المجتمع دينياً. توقفت هيئة تحرير الشام عن الاستمرار محاولة تحقيق هدف تغيير المجتمع عن طريق المساجد أو من خلال التوجيه الديني المباشر، وبدلاً من ذلك سمحت بالتعبير عن التيارات الدينية المتنافسة. أما بالنسبة لإصدار الفتوى، فهي تمر بجهود مأسسة تمنع في النهاية إنتاج ظواهر دينية جديدة. أخيرًا، تم استبدال رجال الدين بشكل أقل وذلك بسبب نقص

[118] مقابلة مع نائب عميد كلية الشريعة في جامعة إدلب، إدلب، ديسمبر 2020

[119] لم يشكو أي مدير أو مدرس تم الاتصال به بشأن تطفل المشرفين بشكل مفرط (مقابلات واتساب، مايو ويونيو 2020).

[120] أجريت مناقشات مع الأساتذة والمديرين وكبار المسؤولين الحاليين والسابقين بوزارة التربية والتعليم بين يونيو 2019 ومايو 2020.

[121] مقابلة، إدلب، يونيو 2019

[122] مكالمات واتساب مع أربعة مدرسين، أبريل 2020

الموارد البشرية وبسبب الضغط المحلي. المطلوب ببساطة أن تكون سياسيًا – على عكس الديني – غير معادياً بدلاً من ان تكون منحازاً بشكل كامل.[123] حتى الآن، لم تكن هناك جهود متسقة للترويج لوجهة نظر محددة للعالم كما هو متوقع في الموقف السلفي.

3 - إيقاف المشروع القياسي (المثالي): لماذا لم تعد أسلمة المجتمع هدفاً؟

إن تحول هيئة تحرير الشام ليس فقط ضمن المجال الديني. لا تزال السلفية بمثابة الأساس الأيديولوجي للمعتقدات العقائدية الأساسية. إن إدارة الحقل الديني لم يعد الأساس للمشروع القياسي، إن هذا المشروع سوف يعكس الطموح السياسي لفرض مجموعة معينة من القيم والمبادئ الدينية بطريقة منهجية، والتي لم يكن المجتمع يؤيدها قبل ذلك.[124]

تحافظ هيئة تحرير الشام على تشددها العقدي لكنها لا تقوم بتطبيقه بشكل مباشر. هذا ليس مجرد تناقض ولكنه خيار استراتيجي واضح: لم تعد أسلمة المجتمع هدفًا مركزيًا لهيئة تحرير الشام. رداً على القاعدة التي اتهمت الحركة بمنع التنظيمات الأخرى من ممارسة واجب الجهاد، أوضح أبو عبد اللَّه الشامي تركهم للمشروع القياسي: "*لم تدّع هيئة تحرير الشام أنها (جماعة المسلمين) أي لها الحق في إقامة النظام الإسلامي. نحن ببساطة (جماعة من المسلمين). نعم بالفعل لا يوجد تطبيق كامل للشريعة الإسلامية (تمكين) في الوقت الحاضر ولا يوجد نظام ديني ممكّن. لكن من جهة أخرى، هناك إدارة موحدة تنظم الشؤون العامة في مناطق الشمال المحررة على كافة المستويات الاجتماعية والأمنية والاقتصادية، وتعمل على تطوير أدائها في حدود إمكانياتها.*"[125] من الواضح أن تطبيق مشروع قياسي (مثالي) إسلامي يتطلب شروطًا لم تتحقق حاليًا، وأن أبو عبد اللَّه الشامي، حفاظًا على هامش المناورة، حريص على عدم التحديد بدقة. هذه الحكومة الظرفية تسمح بعد ذلك بتقديم عدة حلول تتناسب مع المشروع القياسي: تعليق العقوبة البدنية بسبب ظروف الحرب، وتهميش المفاهيم

---

[123] وفقًا لمسؤول سابق في حكومة الإنقاذ السورية ينتقد هذا الأمر الآن، تم فصل حوالي عشرين شيخًا من مناصبهم خلال العام الأول من عمل حكومة الإنقاذ (مقابلة WhatsApp، مايو 2020). تمت إعادة أربعة دعاة مقربين من هيئة تحرير الشام إلى حارم لمعارضتهم سياسة التعامل مع تركيا. زعمت عدة مصادر معارضة لهيئة تحرير الشام أنه لم يتم طرد أي منهم لأسباب دينية، وإنما لأسباب سياسية فقط (مكالمات WhatsApp، / مايو – يونيو 2020).

[124] وبالتالي، هناك قطيعة مع الطابع الإصلاحي للسلفية التي تم تعريفها كعقيدة بقدر ما يتم تعريفه كمشروع معياري، هو غائب الآن في إدلب والذي ذكره هيكل (2009: 38–39) باعتباره سمة رئيسية لهذا التيار (هيكل، ب.، 2009. حول طبيعة الفكر والعمل السلفي، السلفية العالمية: الحركة الدينية الإسلامية الجديدة، ص 33 – 57).

[125] أبو عبد اللَّه الشامي، 2020. رد على إعلان القاعدة، مأخوذ من قناة التلغرام لهيئة تحرير الشام، 2020.

الخلافية، والتخلي الضمني عن الجهاد، والتوافق مع المراجع المحلية (الشافعية)، وقبول التنوع الديني السني (التصوف).

**سيكون من الخطأ اعتبار أن تعليق المشروع القياسي بالضرورة عمل مؤقت وبالتالي فهو يمهد الطريق في النهاية نحو التشدد. إنه أمر مستدام. لقد أدى دخول الأحزاب السياسية الإسلامية في النظم السياسية المحلية بالفعل إلى تآكل التزامها إلى حد كبير بإنشاء دول إسلامية قياسية في المنطقة. في الواقع، وللمفارقة، فقد سهل مشروع هيمنة هيئة تحرير الشام، إيقاف المشروع القياسي. مشروع الهيمنة، هو الذي يدفع هيئة تحرير الشام إلى الحكم أو وفق تعبيرها، "مأسسة الثورة". إنه يحرم بدائل أكثر اعتدالًا، مثل الجبهة الوطنية للتحرير (بما فيها أحرار الشام وفصائل الجيش السوري الحر (FSA))، وكذلك الفصائل الأكثر تشدداً، مثل القاعدة، من أي قدرة على السيطرة على المناطق، بما في ذلك الحواجز والمحاكم والسيطرة على المجالس المحلية. بالإضافة إلى أن هذا يقلل أيضًا من تأثير القادة المحليين لهيئة تحرير الشام على المناطق من خلال حصرهم الآن في العمل العسكري الذي يركز بشكل أكبر على القضايا الأمنية بدلاً من تطبيق المعايير الدينية.[126] في الواقع، قبل إنشاء حكومة الإنقاذ السورية، رأى الحرس القديم المتشدد في القيادة على المستوى المحلي (الشرعيون والأمنيون) أن سيطرتهم على إدارة الشريعة قد انخفضت بشكل كبير. "*قبل ذلك، كان رجال الدين من الفصائل المسلحة هم من فرضوا رؤيتهم الدينية القاسية في كثير من الأحيان. وهكذا تم تدمير العديد من الأضرحة الصوفية، وهو ما لم تفعله هيئة تحرير الشام بعد إنشاء حكومة الإنقاذ السورية* "[127]. حسب أحد الخبراء المطلعين فإن الجماعة،"*تريد فصل السلطات، المتدينون سيكونون طلاب علم مندمجين ضمن الهياكل المناسبة* ".[128]

يؤدي مشروع الهيمنة بطريقة أخرى إلى إيقاف المشروع القياسي. من أجل توطيد الهيمنة وأنت في حالة ضعف استراتيجي، فهذا يعني أن تأخذ بعين الاعتبار آمال الشعب. وهكذا بالنسبة لأبي عبد اللَّه الشامي "*فلسفتنا ليست تحويل المجتمع ليتماشى مع وجهة نظرنا. وحتى عندما كان الإسلام في مكانة قوية في أيام الخلفاء الأوائل لم يفرضوا أفكارهم*

---

[126] سوريون من أجل الحقيقة والعدالة، "موجة أخرى من عمليات الإعدام بإجراءات موجزة على يد هيئة تحرير الشام في إدلب"، سوريون من أجل الحقيقة والعدالة، 5 حزيران / يونيو 2020، https://bit.ly/3mVLNUe

[127] شيخ وزارة الشؤون الدينية السابق، مقابلة على الواتس اب، مايو 2020.

[128] مقابلة، إدلب، يوليو 2020.

بالقوة، إنه ضد عقيدتنا الدينية أن نفرض أفكارنا، هذه مشكلة داعش، هم ضد السنة من وجهة النظر هذه، المشكلة مع داعش ليست فقط استخدام التكفير، بل الأسلوب نفسه ".[129]

ومن خلال تقييمه للتجربة العراقية على وجه الخصوص، يرى أن "*مواءمة المجتمع مع آرائنا ليس هدفًا استراتيجيًا. في كل مرة تحاول فيها مواءمة وجهات نظر المجتمع مع وجهات نظر التنظيم التي يسيطر عليه، يكون ذلك بمثابة فشل*" بعبارة أخرى، فإن الحقل الديني ليس مساحة لفرض الآراء لكنه يصبح مساحة للتعامل مع المجتمع حيث تميل آراء المجتمع للتغلب على آراء التنظيم. وهكذا، يرى أنس عيروط، عميد كلية الشريعة في جامعة إدلب وأحد الشخصيات الدينية المؤثرة في المجلس الشرعي الأعلى: "*بدأ كل شيء بثورة عفوية. بعد ذلك، لا يمكن للمرء أن يفرض فكر فصيل على الآخرين. لا يمكنك تشغيل القارب بمفردك. تم تجاوز الفصائلية من خلال إنشاء حكومة مدنية. ننتقل من ثورة فصيل واحد إلى ثورة جماعية كبيرة. ثم علينا التعامل مع المجتمع. التصوف هو التوجه الديني الذي يعرفه معظم الدعاة وعامة الناس. لن نخوض حربًا معهم عندما يكون عند الناس مخاوف أخرى* ".[130]

بالإضافة إلى العواقب الجانبية لإضفاء الطابع المؤسسي وتأثير الدروس المستفادة من تجربة الدولة الإسلامية في العراق، فإن حساب درجة القبول قبل كل شيء هو الذي ينزع فتيل المشروع القياسي. "*الأهم هو إدارة الصراع في منطقتنا. لا نريد أن تحدث مشاكل بسبب الدين. نحن نقبل الاختلاف لتجنب النزاعات في المناطق الخاضعة لسيطرتنا* ".[131] يعتبر حساب درجة القبول أمرًا أساسيًا في علاقة الجماعة المهيمنة مع الشعب الذي تقوده. حسب الباحثة إليزابيث تسوركوف، "*يتجلى اهتمام هيئة تحرير الشام بالرأي العام في القضايا المتعلقة بالحوكمة والسياسات تجاه نظام الأسد والنظام الدولي. وعندما يتعلق الأمر بالحكم، على سبيل المثال، حظرت هيئة تحرير الشام التدخين، لكنها لم تفرضه بالقوة، بسبب عدم شعبية هذا الحظر. وفي مناسبات عديدة وبسبب الضغط الشعبي فقد قامت هيئة تحرير الشام بإطلاق سراح ناشطين ثوريين شعبيين انتقدوها. وتتجنب هيئة تحرير الشام فرض ضرائب عالية على الشعب، وعندما اضطرت لذلك في عام 2019، فإنها سمحت بحدوث احتجاجات مع الحد*

---

[129] مقابلة، إدلب، يوليو 2020.

[130] مقابلة مع أحد مسؤولي المجلس الأعلى للإفتاء، إدلب، يوليو 2020.

[131] مقابلة مع أحد مسؤولي المجلس الأعلى للإفتاء ، إدلب، يوليو 2020.

الأدنى النسبي من اللجوء إلى العنف. وتُظهِر البيانات العامة والاتصالات الداخلية لقيادة هيئة تحرير الشام ومقاتليها قدراً كبيراً من الوعي لعاطفة الرأي العام ".[132]

إن فرض مشروع قياسي سلفي على السكان، دون أن يتم رفضه، قد تم التضحية به على مذبح عقلاني سياسي (البقاء والازدياد قوة). إنها مسألة وقت، كما تقول العقول المتشككة، والتي تجادل أن إيقاف المشروع القياسي يمكن بسهولة –في غياب تحديث أيدولوجي رسمي– أن يتم عكسه. لديهم بالتأكيد وجهة نظر، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن المكون السلفي عادة يخطط على وجه التحديد لتغيير المجتمع و "تنقية" معتقداته. إن القيود المتأصلة في البيئة الاستراتيجية الجديدة وتوجهات هيئة تحرير الشام تجعل من فرض المشروع القياسي أمرًا غير محتمل.

3 - تعزيز التغيير: استجابة هيئة تحرير الشام للعبة تركيا الاستراتيجية

بعد فترة الهيمنة على الفصائل الثورية (2016–2019) وفترة احتواء حراس الدين (مارس 2019 – يوليو 2020)، قضت هيئة تحرير الشام على التهديد السياسي والعسكري الذي مثلته القاعدة أو على الأقل أضعفته بشكل ملحوظ. هذا فتح المجال لمرحلة ثالثة في المسار السياسي لهيئة تحرير الشام حيث يتم فيها تعريف اللعبة الاستراتيجية المحلية بأنها علاقة رعاية بين هيئة تحرير الشام وتركيا. هذه اللعبة ملزمة للغاية لهيئة تحرير الشام، حيث أنها تعزز تحول الجماعة.

يعود بداية الوجود التركي إلى تاريخ إنشاء نقاط المراقبة بموجب اتفاقية سوتشي وتنفيذها في عام 2017. كان على هيئة تحرير الشام أن تتفاهم مع تركيا غير التدخلية بشكل نسبي لمدة ثلاث سنوات، لكن مع وصول أعداد كبيرة من القوات التركية في فبراير 2020، غيرت قوانين اللعبة. تم إنشاء علاقة قوة غير متكافئة بين الطرف المهيمن الذي يوفر الحماية للطرف الثانوي والذي هو مجبر على التكيف مع اللعبة الاستراتيجية التي يفرضها الأول. لم يتم تعريف الدخول في علاقة الرعاية بشكل أفضل مما تم في مداخلة

[132] إليزابيث تسوركوف، لماذا الجماعات الإسلامية غير الحكومية معتدلة، ورقة للنشر، جامعة برينستون، ص. 22.

يحيى الفرغلي، عالم الدين المصري في صفوف هيئة تحرير الشام، والذي لا يمثل وجهة النظر الرسمية للهيئة ولكنه يوضح التصور حول الآليات الجارية على الأرض. الفرغلي اعتبر أن الدخول المكثف لتركيا، نقل هيئة تحرير الشام من علاقة مساواة حيث كان لديها "الظهور" (إتقان اللعبة والسيطرة على ميزان القوى)، إلى علاقة غير متكافئة تظهر نهاية سيطرة الجماعة على القرارات الاستراتيجية المتعلقة بالمناطق الواقعة تحت سيطرتها. في هذه الحالة، فإن أفضل ما يمكن أن تأمله الجماعة الآن، وفقًا لرجل الدين المصري، هو الحفاظ على الطابع الإسلامي للحكم في المناطق الواقعة تحت سيطرتها.[133]

1 - سياسية هيئة تحرير الشام الرعايوية

للوهلة الأولى، من منظور سياسي، فإن علاقة الرعاية ليست بهذه الإشكالية لهيئة تحرير الشام ولتركيا حيث أنهم في الحقيقة يتشاركون نفس المصالح الاستراتيجية.[134] الاستراتيجية المرنة لهيئة تحرير الشام تتماشى بفعالية مع المنظور التركي. تريد هيئة تحرير الشام الاحتفاظ بالأرض، والحفاظ على السلطة، وحماية وتنظيم السكان، والمراهنة على إرهاق النظام على المدى الطويل كجزء من حرب استنزاف. بينما تريد تركيا عمقًا استراتيجيًا مستقرًا، كي تتجنب تدفق اللاجئين وكل ذلك أثناء ترك مسؤولية الحكم وجعل المناطق هادئة للقوى المحلية. الثغرة الوحيدة هي أن استراتيجية الملاذ التركي في إدلب مقيدة بالعلاقة بين موسكو وأنقرة وهدنهم المتعددة. وكنتيجة، فإن اللعبة عبارة عن لعبة ذات ثلاث أطراف. للتوافق مع الملاذ المدعوم تركيا، لا يمكن لهيئة تحرير الشام تجاهل الاتفاقية التركية الروسية الموقعة في 5 مارس 2020. بالإضافة إلى المصالح المشتركة بشأن العمق الاستراتيجي والملاذ الثوري، فإن دخول هيئة تحرير الشام في علاقة رعاية مع تركيا يصبح أكثر تعقيدًا ويفرض خيارات سياسية صعبة على قيادة التنظيم. تكشف جميع هذه الخيارات عن اختبارات لجميع التحولات الموضحة سابقاً.

---

[133] أبو فتح الفرغلي ، "تسجيل كامل مسرب للقائد أبو فتح الفرغلي" ، يوتيوب ، 31 آذار 2020 ، https://bit.ly/2JAWbCq. راجع أيضًا سام هيلر ، "التسريب يكشف ضعف قبضة الجهاديين في إدلب السورية" ، الحرب على الصخور ، 10 أبريل 2020 ، https://bit.ly/39Oamyx.

[134] للحصول على تحليل شامل للعبة القوة الدولية في إدلب، انظر مجموعة الأزمات الدولية، "إسكات البنادق في إدلب السورية،" تقرير رقم 213، 15 مايو / أيار 2020، https://bit.ly/33SEwwL

سرعان ما ظهرت ثلاث نقاط احتكاك بين هيئة تحرير الشام وتركيا: جغرافية العمق الاستراتيجي الذي تدافع عنه تركيا، وقضية الإرهاب الدولي والدوريات التركية الروسية التي تمر على طريق M4. لقد كانت الاختلافات قوية في البداية، لكن تم حلها بمرور الوقت، وتم الاتفاق حول جميع النقاط وتقاربت الرؤية على هدف مشترك يتمثل في الملاذ الآمن في مرحلة الضعف الحالية.

يتعلق الخلاف الأول بحجم العمق الاستراتيجي الذي تسعى إليه تركيا. ينص الاتفاق مع روسيا بوضوح على أن الخطوط الأمامية الحالية هي التي تحدد المنطقة المتأثرة بالهدنة. لا يزال هناك بعض الغموض فيما يتعلق بالمناطق الواقعة جنوب الطريق السريع M4، والتي كانت في البداية أقل تحصيناً. كثفت قوات المشاة التركية مواقعها شمال الطريق السريع وشرق إدلب، تاركة خطوط الجبهة الجنوبية مكشوفة بشكل كبير بينما تتواجد تركيا مباشرة على الخطوط الأمامية شرق إدلب. السبب ليس أي تفاهم خاص مع روسيا، ولكن بسبب كمية الموارد التي كانت ضرورية لتأمين المحيط الحالي بأكمله.[135] التفاهم الذي تم التوصل إليه بين موسكو وأنقرة في نوفمبر 2020 بشأن إعادة انتشار نقاط المراقبة التركية المحاصرة من قبل قوات النظام في الجناح الجنوبي لإدلب تناول هذه القضية جزئياً. وسيعزز بشكل كبير الهدنة الحالية غير المستقرة في المنطقة.[136]

النقطة الثانية الخلافية تتعلق "بقضية الإرهاب". يجب على أنقرة في نهاية المطاف أن تقدم مقاربة للجماعات التي تعتبرها روسيا إرهابية، على الرغم من إحجامها عن خوض حرب مباشرة مع المتطرفين أو الانخراط في الحكم. لن تكون إدلب درع فرات أو عفرين ثانية حيث يكون الحكم أكثر مباشرة. تحتاج أنقرة إلى شركاء محليين، الأمر الذي سيمنح بالضرورة دورًا مهمًا لهيئة تحرير الشام التي تعتبرها تركيا أيضًا منظمة إرهابية[137]: "*سيتعين علينا محاربة الإرهابيين لكننا لن نشن حربًا عليهم. ما نحتاجه هو شريك محلي لإضعافهم. مع*

---

[135] ومع ذلك، أقامت تركيا مواقع مدفعية وغطاء للطائرات بدون طيار جنوب إدلب (مقابلات مع خبراء عسكريين أتراك وقادة للجيش السوري الحر وهيئة تحرير الشام، أيار 2020، تموز 2020، آب 2020).

[136] مقابلات مع دبلوماسيين روس وأتراك، أنقرة، ديسمبر 2020. وبحسب القائد العسكري لهيئة تحرير الشام، تم سد الفجوة الأمنية الجنوبية الآن، حيث توجد الآن سبعة مواقع تركية جديدة في مثلث إدلب الجنوبي في مناطق مثل كفر عويد وديرسنبل، غليون، وقفين (مقابلة، إدلب، ديسمبر 2020).

[137] فعلى سبيل المثال، تم في عام 2019 اعتقال 104 أشخاص على الأراضي التركية لانتمائهم إلى هيئة تحرير الشام (مقابلة مع خبير أمني تركي، أنقرة، كانون الثاني / يناير 2020).

هيئة تحرير الشام لدينا قوة محلية تعرفهم وتستطيع القيام بالمهمة. لكن في النهاية على هيئة تحرير الشام أن تتغير " صرح مسؤول تركي.[138] من الواضح أن تركيا تراهن بداية على مشروع الجولاني المهيمن، بينما تضع في اعتبارها تفكك هيئة تحرير الشام النهائي في هيكل دفاعي أكبر لديه قوة مهيمنة وأيديولوجية ومحاط بحلفاء محليين. هذا النهج يعيد إنتاج نموذج قوات سوريا الديمقراطية. قرار هيئة تحرير الشام بالشروع في مواجهة مع حراس الدين يعني أن الجماعة أخذت زمام المبادرة في قضية القاعدة. وكنتيجة فقد حُلّت المشكلة من خلال القضاء على التهديد الاستراتيجي الذي يشكله تنظيم القاعدة. جاءت هذه المواجهة في أعقاب استمرار تحييد خلايا داعش في المناطق الواقعة تحت سيطرتها. لكن هيئة تحرير الشام هي بذاتها لا تزال على أجندة القضية الإرهابية.

إن نقطة الخلاف الثالثة، الوجود الروسي (من خلال الدوريات الروسية التركية)، هي التي تكشف في معظمها التوترات الهيكلية المحيطة بعلاقة الرعاية التي تحدث في إطار ثلاثي يشمل روسيا. هنا تكمن الإثارة في تحالف هيئة تحرير الشام مع تركيا. بينما أصرت تركيا على أنه إذا لم تنجح الدوريات، فإن الهدنة لن تصمد، توقعت هيئة تحرير الشام أن المقاومة المستمرة من السكان المحليين للدوريات ستؤدي في النهاية إلى إلغائها.[139] تم تشكيل حركة شعبية بعد فترة وجيزة من إعلان اتفاق موسكو تحت اسم اعتصام الكرامة. نجح الأخير في إعاقة مرور الدوريات بشكل كبير. تنفي هيئة تحرير الشام أي تورط مباشر لها، ولكن يبدو أن كل شيء يؤكد أن كلاً من هيئة تحرير الشام وحكومة الإنقاذ السورية لعبت دوراً هاماً في تشكيل الحراك. بعد ذلك قامت هيئة تحرير الشام ببناء تحصينات، واندلعت بعد ذلك اشتباكات بين جنود أتراك كانوا يحاولون فتح الطريق ومتظاهرين حشدتهم هيئة تحرير الشام.[140] توصل الجانب التركي بسرعة إلى استنتاج مفاده أن هيئة تحرير الشام منقسمة بشدة. قبلت القيادة حول الجولاني فكرة الهدنة، لكن القيادة المتوسطة وجدت صعوبة في الالتزام بها: *"تواجه دورياتنا وجهات نظر مختلفة للغاية في هيئة تحرير الشام. من جهة أرسلوا لنا دوريات لحماية رجالنا ومن جهة أخرى قاموا بمهاجمتنا أو تهديدنا. على الجولاني أن*

---

[138] مقابلة مع مسؤول تركي، أنقرة، أبريل 2020

[139] مناقشات مع خبراء أتراك في الأمن، أغسطس وسبتمبر 2020.

[140] وأدى تبادل لإطلاق النار وقذائف آر بي جي إلى إصابة ثلاثة جنود أتراك ومقتل اثنين من المتظاهرين وإصابة ثلاثة آخرين، بحسب مقابلات مع خبراء أمنيين أتراك، عبر واتساب، مايو 2020.

يجد التوازن. إنه أمر صعب "، كما علق مسؤول تركي في هذا الصدد.[141] على نفس المنوال، اعتبر صحفي محلي أن "*اعتصام الكرامة يجب أن يُفهم على أنه أداة ضبط من قبل هيئة تحرير الشام للمعارضة الداخلية ضد اتفاق موسكو. لم يكن من الممكن السماح للدوريات بالمرور دون تنظيم مقاومة. من جهة، وبسبب تركيا، اضطرت هيئة تحرير الشام للقبول، لكن من جهة أخرى، بسبب المعارضة الداخلية، اضطرت قيادة الجماعة إلى رفضها. لذلك، اختارت هيئة تحرير الشام القيام بإظهار المقاومة أثناء استسلامها، ولكن ببساطة بخطوات صغيرة* ".[142]

تدريجياً، أصبحت رؤية هيئة تحرير الشام أكثر وضوحاً واتخذت خطاً واقعياً. في تموز 2020، أعلن القائد العسكري للتنظيم "*بالطبع نحن نعتبر أن القبول الأخلاقي لمرور الدوريات هو إشكالية. يُنظر إلى دخول الروس على أنه خيانة لغالبية السكان. لكن بالنسبة لنا كقادة، نحن ندرك جيدًا أن هذه هي أفضل طريقة لتوطيد الهدنة. لقد سمحنا بالاعتصام لمدة 50 يومًا، ولكن بمجرد أن تدهور الوضع، تدخلنا، من ناحية، لشرح الأسباب للشعب، ومن ناحية أخرى، إقناع الأتراك بتنفيذ الدوريات بطريقة تدريجية من أجل توفير الوقت وإعداد قواعدنا* ".[143]سيتجاوز دعم الهدنة القبول البسيط بواقع جديد: تلعب هيئة تحرير الشام الآن دورًا نشطًا في تسيير تلك الدوريات نفسها التي حاربها بعض رجالها منذ أسابيع. في الواقع، في نهاية يوليو 2020، بعد القضاء على القاعدة، عبرت الدورية الأخيرة M4 بالكامل دون عوائق.

انضمت هيئة تحرير الشام إلى استراتيجية تركيا لتأمين إدلب، ولكن بشكل تدريجي وعكسي. في البداية لأن الاتفاق لم يكن واضحًا تمامًا بالنسبة لهم، ثم بسبب الهدف المتمثل في عدم فقدان السيطرة على اللعبة داخليًا.[144] لكن في النهاية، أصبح قبول الاتفاق كاملاً لعدة أسباب: أولاً يريد العسكريون تجنيد وإعادة هيكلة الجهاز العسكري وزيادة قدراتهم الدفاعية. ثانياً تحتاج قوات الأمن إلى هدنة لاستعادة السيطرة على المنطقة، خاصة في مواجهة الخوف من انزلاق جزء من شبكات القاعدة المتبقية نحو أنشطة سرية ضدها. ثالثاً تريد حكومة الإنقاذ السورية أن يحصل السكان على حد أدنى من الراحة، وتريد تقوية

---

[141] مقابلات واتساب، مايو، 2020

[142] مقابلة واتساب، أبريل 2020

[143] مقابلة مع القائد العسكري لهيئة تحرير الشام، إدلب، يوليو 2020

[144] ولهذا السبب تخلى المجلس الأعلى للفتوى عن إبداء الرأي في اتفاقية موسكو الخمسية 2020 ، وهي اتفاقية اعتبرت "غير واضحة، وربما اتفاقيات ضمنية غير معروفة ويصعب تبريرها للوجود الروسي بعد ذلك. لتعبئة عقول الناس ضد غزو روسي طويل الأمد" (مقابلة مع مجموعة من المسؤولين في المجلس الأعلى للإفتاء، إدلب، تموز / يوليو 2020).

العلاقات مع تركيا. وفي تلخيص للاتفاق الجديد، يرى القائد العسكري لهيئة تحرير الشام أنه "*كلما طالت الهدنة، كانت مفيدة لنا بشكل أكبر. يجب أن يرتاح الناس، بينما نحن العسكريون، ندعم الهدنة لأننا بحاجة إلى إعادة التنظيم. الوقت مفيد لنا، حيث يصبح لدينا المزيد من الوقت لاستدراك التدريب والتجنيد بعد خسارة ما يقرب من 1000 شهيد و2000 جريح خلال الحملة الأخيرة للنظام وروسيا ضدنا*".[145]

من الناحية العملية، فضلت تركيا إعادة التنظيم العسكري في المنطقة. بوجود أكثر من 12,000 مقاتل بما فيها مجموعات من القوات الخاصة، ومراكز مراقبة، فإن تركيا تجهز غرفة عمليات مع الجماعات المسلحة الأخرى التي تؤكد علاقتها الرعايوية. وفقًا لمسؤول تركي، "*يوفر السياق الحالي فرصًا جديدة عندما يتعلق الأمر بإدارة التطرف. مع تدفق جنودنا والتعاون مع الفصائل، لدينا الآن نفوذ أكبر عليهم. جميع الثوار، يستمعون إلينا بشكل أكبر. ليس فقط في القضايا العسكرية ولكن أيضًا في الشؤون السياسية*".[146]تقوم الرعاية على علاقة غير متكافئة، حيث يمارس الراعي نفوذاً قوياً على موكله. ومع ذلك، في إدلب اليوم، أنتجت علاقة الرعاية علاقة قوة بين الراعي وموكله أقل من قوة العلاقة بين الدائرة المقربة من أبو محمد الجولاني ومقاومة بعض القادة المتوسطين. من وجهة النظر هذه، فإن الدخول في علاقة رعاية يؤدي إلى تماسك الجماعة. إنه يوطد إنجازات المواجهة مع القاعدة. الضغط التركي على هيئة تحرير الشام لم يتوقف. بعد تطبيق اتفاق موسكو تريد تركيا إعادة تشكيل طبيعة الهياكل العسكرية في إدلب، أي طبيعة هيئة تحرير الشام ومشروعها المهيمن.

في خريف 2020، تمثلت الأهداف الرئيسية التي تسعى إليها تركيا وهيئة تحرير الشام هو جعل الهياكل العسكرية في إدلب مركزية، ولكن ليس بالضرورة أنهما متفقان على الكيفية نفسها. يمكن أن تؤدي مركزة القوات العسكرية المحلية إما إلى إضعاف هيمنة هيئة تحرير الشام أو على العكس من ذلك، إلى ترسيخها. وقد دعت هيئة تحرير الشام على مدار العامين الماضيين إلى توحيد القوات العسكرية،[147] وهو ما لم تقبله الفصائل الأخرى لأنها

[145] مقابلة مع القائد العسكري لهيئة تحرير الشام، إدلب، يوليو 2020

[146] مقابلة، هاتاي، مارس 2020

[147] مقابلة مع قادة هيئة تحرير الشام العسكريين والسياسيين، إدلب، يوليو 2020

تخشى سيطرة هيئة تحرير الشام عليها.[148] الوقت ملائم الآن لإعادة هيكلة التشكيلات العسكرية لقوات المعارضة المسلحة وتحويلها إلى مجلس عسكري، والذي سيؤدي إلى زيادة الكفاءة العسكرية وأيضًا قولبة هيئة تحرير الشام في هياكل عسكرية ومدنية أكثر شمولاً.

لكن توحيد الهياكل العسكرية المحلية يضع أنقرة في مواجهة عقدة غوردية حقيقية على الرغم من الظروف الملائمة. يمكن لمركزة القوات العسكرية المحلية دون تحولات هيكلية كبيرة أن تقوي الفصيل المسيطر الحالي بدلاً من إنهاء الانقسامات. سيضع هذا الخيار أنقرة على خلاف مع شركائها التاريخيين مثل فيلق الشام وأحرار الشام. والأهم من ذلك، يمكن تصنيف الهيكل الجديد دوليًا على أنه إرهابي، في حين أن تركيا تسعى إلى تعويم الجسم الجديد. تخشى تركيا أيضًا من أن "*تحدي الفصائل يعني زعزعة توازن قابل للكسر، وهش ولكنه تحت السيطرة. قد يغيّر التحوّل الفصائلي التوازن في الميدان ويعطّل النظام الحالي*".[149] وبالتالي، على الرغم من أن تركيا بحاجة ماسة إلى جعل القدرات العسكرية للجماعات المتمردة التي تدعمها معقولة، إلا أنها تظل حذرة وتبقي تدخلها في الحد الأدنى. على سبيل المثال، لا تزال الرواتب تُدفع عن طريق الفصائل الموجودة. تتابع تركيا بعناية غرف العمليات العسكرية ولا تتدخل إلا قليلاً. لا تزال الفصائل تخضع للتدريبات العسكرية بشكل منفصل وتستمر في إظهار درجة معينة من الاستقلالية تجاه قيادة غرفة العمليات.[150]

تُظهر التحديات التي تواجهها تركيا أثناء محاولتها جعل القدرات الدفاعية للمعارضة في إدلب معقولة أنه في علاقة الرعاية بين تركيا وهيئة تحرير الشام، يمكن للراعي التأثير على الوكيل ولكن لا يمكنه تجاهل الديناميكيات المحلية التي تقلل من هامش المناورة. لا يمنح الزخم العسكري التركي لأنقرة إمكانية فرض إرادتها بشكل مستقل عن استراتيجيات وحسابات شركائها المحليين على الأرض.

---

[148] مقابلة مع قادة في أحرار الشام وفيلق الشام، إسطنبول، نوفمبر 2020 وديسمبر 2020

[149] مقابلة مع مسؤول تركي، ديسمبر 2020

[150] مقابلة مع القائد العسكري لهيئة تحرير الشام، ديسمبر 2020.

2- إدلب: وضع ثيرميدوري

يؤكد المراقبون في إدلب من جميع الأطياف الأيديولوجية أن ديناميكية التغيير في هيئة تحرير الشام حقيقية، بعضهم ينتقد انتهازية الجولاني، وبعضهم يثني على براغماتيته، وآخرون يعبرون عن مخاطر تمييع ثوابت الحركة الجهادية.[151] على هذه الأسس، أصبح من الممكن الآن صياغة الرؤية الاستراتيجية للجماعة اليوم ومحاولة التفكير في الطابع التاريخي المحدد جدًا لهذا التغيير، من أجل إعادة التفكير في التحولات بمصطلحات أخرى غير تلك التي تم استخدامها بشكل مفرط كـ "للاعتدال" أو " البراغماتية ". من منظور صناعة السياسات، سيمكننا هذا من استخلاص بعض الدروس حول كيفية التعامل مع "الراديكاليين الواقعيين" والتي تتجاوز الوضع المحدد للغاية في إدلب.

إن التحولات الأخيرة تدل على أن هيئة تحرير الشام تقوم بتهيئة وضع ثرميدوري. هذا المبدأ اقترحه جان فرانسوا بايارت لتحليل التجارب الثورية للقرن العشرين، وذلك من خلال بناء إطار تحليلي دعمته مناقشات مؤرخي الثورة الفرنسية. هذا المبدأ يعرض الانقلاب في الديناميكية الثورية حيث لا يعود الفاعل الذي يمثل العقلية الراديكالية يهدف إلى الاستيلاء على السلطة ولكن الحفاظ عليها[152]. إن السياق السياسي في إدلب هو ترميدوري بأكثر من طريقة: خيبة الأمل من اليوتوبيا الثورية، تأجيل الكفاح المسلح إلى أجل غير مسمى، إلقاء اللوم بالوضع اليوتيوبي على الحكومة، والاعتماد على جهات خارجية، وإعادة اكتشاف الجمود الاجتماعي، وتهميش الفئات المتشددة في الجماعة.

الوضع في إدلب هو ترميدوري أولاً وقبل كل شيء بسبب العلاقة المحبطة التي تقيمها قيادة هيئة تحرير الشام مع هياكل السلطة في المناطق التي تسيطر عليها. تعتبر حكومة الإنقاذ السورية "واقعًا مؤقتًا"[153]، مؤهلة كـ "حكومة تصريف أعمال" من قبل أبو محمد

---

[151] بحسب مراسلات من أبو محمد المقدسي عبر قناته على التليجرام كول بونزل ، "تخفيف الجهاد: تحرير الشام ومخاوف أبي محمد المقدسي". جيهديكا ، 29 مارس 2017 ، https://bit.ly/2VJJ6cg

[152] هناك العديد من التحليلات للحالات الترميدورية. سنلقي نظرة خاصة على Bayart) Bayart ، JF،2008. Le concept de status thermidorienne: régimes néo-révolutionnaires et libéralisation économique. Questions de recherche ؛ 24، pp.1-77؛ Bayart، JF، 1991. Thermidor en Iran. Politique étrangère ، ص 701–714).

[153] مناقشة مع مسؤولين في الهيئة، مارس 2020

الجولاني[154] أو "حكومة تكنوقراطية" من قبل طاقمها القيادي.[155] لا ينبغي أن يُنظر إلى خيبة الأمل من الحكم المحلي من منظور سلبي وعلى أنه عمل من أعمال التنازل. إذ أنها تفتح كذلك باب الخيارات للجماعة لاستعادة زمام المبادرة من خلال التفكير في تشكيل تحالفات لم يكن من الممكن تصورها من قبل، مثل علاقة الرعاية مع تركيا، والسعي للتطبيع مع الدول الغربية. بالنسبة لمحلل محلي، فإن هيئة تحرير الشام في عملية "انفتاح" وهي الآن " تنظيم قادر على أن يكون واقعياً".[156] الهدف الآن ليس الاستيلاء على دمشق بقدر ما هو البقاء في السلطة وتنظيم مناطق الثوار.

ثانيًا، الثيرميدور هو إعادة اكتشاف "الجمود الاجتماعي، والحاجة إلى التفاوض السياسي" في سياق "انتقام المجتمع الحقيقي من الإيديولوجيا".[157] انتقام المجتمع موجود في جميع مستويات المشروع السياسي. إعادة الجانب الديني في الجماعة ليصبح أكثر محليةً هو فعل ثيرميدوري. العودة إلى المذاهب الفقه، واستبعاد المفاهيم الخلافية، والاعتماد على رجال الدين الأقل قدرة هذا كله يتوافق جيدًا مع الاعتراف الضمني باستقلالية المجتمع. في عملية إعادة التموضع والتقارب مع السكان المحليين، فإن المجتمع مرة أخرى هو الذي يحدد الأسلوب ويغذي الخطاب العام ويؤثر على المشروع القياسي. وكما يشرحه قائد الجماعة، "*سياستنا مستمدة من ظروف البيئة. نحن لا نتبع أي شيخ معين أو مرجع معين. مرجعنا هو السياق المحيط – (الواقعية)*".[158] وبعبارة أخرى، فإن التركيز على الشؤون المحلية هو أيضًا نهاية الاعتقاد بإمكانية تبييض الصفحات، وهناك أيضاً لحظة انعكاس مهم. على الجماعة التكيف مع المجتمع، بشكل أكبر من محاولتها تغيير هذا المجتمع.

ينعكس التأثير المستمر للانقسام على هيكلية غرفة العمليات العسكرية (الفتح المبين).[159] إن الهزيمة العسكرية لفصائل الجيش السوري الحر المتحالفة مع أحرار الشام في

---

[154] مقابلة، إدلب، يناير 2020

[155] مقابلة مع مسؤولين من حكومة الإنقاذ، يناير 2020

[156] تبادل مكتوب، أبريل 2020

[157] فرانسوا فوريت، ف. (1981). تفسير الثورة الفرنسية. مطبعة جامعة كامبريدج، ص 116، 123–4.124

[158] مقابلة مع أبو محمد الجولاني، إدلب، يناير 2020

[159] تتكون غرفة عمليات الفتح المبين من 40 لواء من 600 رجل لكل منهم. لكن الكتائب لا تزال متجانسة من وجهة نظر الانتماء الفصائلي (مقابلات مع قادة عسكريين في هيئة تحرير الشام وفيلق الشام، تموز وآب 2020).

يناير 2019 أنهت سيطرة الفصائل على المناطق، ولكن لم تنه الفصائلية، والتي ستستمر في تنظيم التعاون العسكري بين بقية التشكيلات المسلحة.[160]استمرار الفصائلية هو في حد ذاته دراسة حالة لإعادة اكتشاف الجمود الاجتماعي، حيث أنها تظهر كيف أن البنية الاجتماعية تؤثر على الهيكلية العسكرية وتخفف من قدرة الهيمنة الجديدة على السيطرة الكاملة عليهم. يمكن هزيمة الفصائل، لكن لا يمكن لأي منتصر أن يتجاهل الفصائلية التي بنيت عليها. والمقاتلون الذين لديهم انتماء فصائلي قوي لم يكن ليوافقوا أبدًا على القتال تحت راية الجماعة التي تغلبت عليهم. إن سياسة الصفحة البيضاء (تابولا راسا) –سياسة البدء من جديد من دون مقاومة – التي يمارسها تنظيم الدولة الإسلامية في أماكن أخرى ستعني حتمًا خسارة المناطق التي تأسست فيها هذه الفصائل، وبالتالي نادرًا ما كانت تمارس باستثناء المناطق التي كانت تسيطر عليها حركة نور الدين الزنكي سابقًا. يعتقد القائد العسكري لهيئة تحرير الشام أن هذه المجموعات مهمة لحماية المناطق الجنوبية التي تنتمي إليها. يعتقد خبير محلي: "*إذا قامت هيئة تحرير الشام بتفكيك هذه المجموعات، فلن تتمكن من استبدالها أو التعبئة في مناطقها وستتحول هذه المناطق إلى حلقات ضعيفة* ".[161]يبدو أن مأسسة العسكرة تعاني من هذا القانون الحديدي والتي تعكس القوة الدائمة للفصائلية. وقد صرح القائد العسكري لهيئة تحرير الشام: "*هدفنا النهائي هو تحويل الفتح المبين إلى مجلس عسكري. لكن لا يمكننا تجنيد ما يكفي لحماية المناطق بمفردنا. لكن الفصائل كواقع اجتماعي لا تزال موجودة، ولا يمكنك خلط مقاتلين من أحرار وصقور وهيئة تحرير الشام في نفس اللواء دون المخاطرة بالفوضى. وحتى نستطيع أن نجند، علينا الاستعانة بالفصائل وإلا فإننا سنخسر هؤلاء المقاتلين. إن ديناميكية الاندماج لا يمكن أن تعمل بالقوة* ".[162] ولم يكن هناك حل سحري في مواجهة استمرار الفصائلية. ولذا، وبتوصيفه لجهود المأسسة العسكرية على الأرض، فإن أبو محمد الجولاني يعتقد أن إمكانية تشكيل جسم موحد هو أقل من إمكانية تحسين التعاون بين الفصائل الموجودة حالياً.[163]

---

[160] أحد أسباب قلق الفصائل من التعاون العضوي للغاية مع منظمة مصنفة. كما صرح أحد قادة الجيش السوري الحر في إدلب، "في الوقت الحالي، نحافظ جميعًا على هياكلنا. ولا يزال تدريبنا منفصلاً. تصر هيئة تحرير الشام على إنشاء مجلس عسكري، لكن يصعب علينا الانخراط في مشروع متكامل تمامًا مع منظمة مصنفة على أنها إرهابية. سيكون من الصعب تجاوز غرفة العمليات "(مقابلة، أكتوبر 2020)

[161] مقابلة، إدلب، يوليو 2020

[162] المصدر السابق

[163] مقابلة، يوليو 2020. قد نفترض أيضًا أنه يريد التأكد من استمرار تدفق الدعم التركي إلى إدلب دون أن يبدو أنه يذهب إلى هيئة تحرير الشام.

مع العودة للعبة التحالفات والتي أدت إليها خيبة الأمل الثورية وانتقام المجتمع، يضع ذلك على هيئة تحرير الشام مجموعة من القيود. السكان، والمطالب التركية، واستشراف التوقعات الغربية والتي، بحكم الواقع، لا تسمح بملاذ آمن ولا بإمارة راديكالية. فكرة الإمارة غير مقبولة تمامًا لتركيا والفصائل الأخرى التي تتعاون معها هيئة تحرير الشام حالياً. وثانياً لأنه بمجرد اتخاذ قرار بجعل الدين أقرب إلى السكان، فإن أي مشروع إسلامي يُعلن عنه يصبح محفوفًا بالمخاطر حيث أن "*وجود إمارة يفترض مسبقًا تطبيق معايير. ومن وجهة النظر هذه، فإن التخلي عن الإمارة هو رد مخالف للمتشددين. خلاصة القول: إعلان الإمارة يعرّض الطرف الذي يبادر بالمبادرة إلى معايير معينة تفضل هيئة تحرير الشام عدم تطبيقها لأسباب تتعلق بإدارة قواعدها الاجتماعية*".[164] إن التعريف غير السياسي لحكومة الإنقاذ يتبع نفس المنطق: من أجل تحييد الانتقادات المتطرفة بأن إدلب لا تتوافق مع مفهومهم لنظام إسلامي، فإن النظام السياسي المحلي غير مسيس في غياب القدرة أو الرغبة في أسلمته.

هذا يقودنا إلى الصفة الثالثة للموقف الثرميدوري. ضرورة القضاء على العناصر المتشددة التي لم تلتزم بإعادة التوجيه المنضبط للديناميكية الثورية. فتالهم له سببين منطقيين. الأول هو أن الحرب تبرر نفسها بنفسها، إنها واجب ديني، فرض عين؛ إنها الوسيلة والغاية. هذا انتقاد شائع للقاعدة، حيث تندد جماعات مثل أحرار الشام وهيئة تحرير الشام تأكيد القاعدة أن الجهاد غاية في حد ذاته. ثانيًا، لأن الحرب تؤتي ثمارها: فالمساعدات الخارجية للجهاد تتطلب الجهاد ليستمر التدفق النقدي، ولاحقاً غنائم حرب. لذلك فإن الحرب ضرورة وجودية بالنسبة لهم بقدر ما هي مثالية أخلاقية. على الجانب الآخر، فبالنسبة لهيئة تحرير الشام فإن الحرب الآن تأتي بنتائج عكسية بثلاثة طرق: الحرب تؤدي إلى توازن غير مستحب للقوى، لا يمكن للتنظيم الصمود عسكريًا ضد النظام والروس. وكذلك تحبط الحرب سياسة الملاذ الآمن الموفر من قبل الداعم التركي. وأخيراً يحتاج اقتصادها السياسي (فرض الضرائب على التجارة والتوسع في المشاريع) إلى الهدن.

في مواجهة المتشددين، هناك ثلاث سياسات ممكنة: الابتعاد والتهميش والمواجهة. وقد طبقتهم هيئة تحرير الشام جميعاً. قامت الجماعة بالابتعاد عن القيادة العامة للقاعدة. إن قطع العلاقات مع القاعدة في عام 2016 يمكن شرحه بشكل واضح تبعا للمنطق

[164] مقابلة واتساب مع الباحثة الفرنسية ستيفان لاكرويكس، يونيو 2020

الثرميدوري، حيث أن الحبل السري المتصل بالرحم يمثل عائقًا على جميع المستويات. هذه الروابط تمنع التقلبات السياسية، كما لا تسمح لنا بالتفكير بالمرونة التي تتصور التخلي عن الجبهات القتالية، واستبدالها بمنطق الدفاع المشترك عن المنطقة. بالإضافة إلى ذلك، فقد أعاق الولاء إعادة التموضع الديني الملازم لإعادة اكتشاف جمود المجتمع. وقد أطلقت هيئة تحرير الشام بعد ذلك في يوليو 2020 مواجهة مع حراس الدين، آخر فرع للقاعدة يرفض حمايتها وقيودها السياسية (تحالفه مع تركيا) أو العسكرية (نبذ منطق الحرب المشتعلة). وأخيراً، قامت هيئة تحرير الشام بتهميش رجال الدين المتشددين الذين بقوا على تشددهم، والغير قادرين على الاندماج مع هدوء المجتمع. تم استبعاد البعض من الجماعة، ونزل البعض الآخر إلى حكم القضاء، وتم إسكات بعض رجال الدين من خلال إضفاء الطابع المؤسسي على الإصدارات الدينية التي تصدر من قبل الجماعة. ونتيجة لذلك، *"أصبح أبو محمد الجولاني الآن في موقع قوة. لم يعد هناك معارضة قوية من الداخل وهو يشعر الآن بالأمان. لكنه أيضًا حريص جدًا على التشاور. لا يريد أن يفرض أفكارًا على الآخرين ويطلب منهم الانصياع. يريد إقناعهم. من أجل التعامل مع ذلك، يتم توجيه القرارات السياسية إلى القيادة الدينية للحركة من أجل ضمان دعمهم. إن عملية التحول الداخلي هذه حقيقية. لكن الأمر يستغرق وقتًا "*.[165]

في هذا السياق الثيرميدوري تتكشف رؤية أبو محمد الجولاني الاستراتيجية. وبتأييده لتوازن القوى على الأرض دون الإيمان بـ "حل سياسي" مفروض من الخارج. وقد أوضح أن *"تقارب المصالح لن ينجح أبدًا. المصالح متباينة للغاية. فكيف نتخيل أن تجد إسرائيل وتركيا والولايات المتحدة وروسيا والسعودية وإيران أرضية مشتركة؛ هذا غير ممكن "*.[166] الجولاني مقتنع بأن الصراع سيتم تعليقه بدلاً من حله سياسياً. وهو يعتقد لذلك أن الهدف الرئيسي هو تثبيت وقف إطلاق النار: *"إذا لم نعد قادرين على التقدم، فعلى الأقل فلنبقى حيث نحن، ولنحمي السكان وننظم أنفسنا هنا "*.[167] وأضاف محلل مطلع في مايو 2019، عندما كانت المواجهة مع النظام وروسيا قد بدأت لتوها، أن قيادة هيئة تحرير الشام ترى *"أن سوريا مقسمة الآن إلى ثلاث مناطق، ولكل منطقة من يحميها. هدف هيئة تحرير الشام الاستراتيجي*

---

[165] مقابلة مع مصدر أمني تركي، اسطنبول، ديسمبر 2020. يرى باحث محلي على صلة وثيقة بالجماعة أن "المتشددين ما زالوا موجودين لكنهم الآن مشتتون في الجماعة. إنهم لا يمثلون قوة مضادة. في الماضي، كان على عبد الرحيم عطون التحضير لقرار في لقاء مع كل من قد يعترض مثل أبو يقظان أو أبو شعيب. الآن هناك حاجة أقل لذلك" (مقابلة، إدلب، ديسمبر 2020).

[166] مقابلة، إدلب، يوليو 2020

[167] مقابلة، إدلب، ديسمبر 2020

هو الحفاظ على هذه الأرض لأنها إذا فقدتها، فستكون نهاية الثورة. ومن أجل ذلك، يجب علينا الانفتاح على الغرب".[168] ويوضح الجولاني أن "***بقاء بشار الأسد في السلطة سيؤدي إلى تقسيم البلاد. فقط تغيير النظام يمكن أن يحافظ على وحدة البلاد***".[169] وبالتالي فإن الخيار الوحيد القابل للتطبيق هو أن تظل مرنًا خلال انتظار تحول ميزان القوى على الساحة الدولية، بينما تسعى إلى الدخول إلى اللعبة الجيوستراتيجية. ومن هناك ينطلق الهدفان الأساسيان للجماعة: تعزيز قاعدته الاجتماعية داخليًا والعمل على قبوله خارجيًا.

الهدف الأول يتجلى من خلال إيقاف المشروع القياسي والتكيف مع السياق المحلي. "***ليس لدينا مشروع جاهز. مرجعيتنا هي السياق الذي نحن فيه. ومع أخذ هذا السياق في الاعتبار، سنعزز أيضًا قبول مشروعنا***".[170] نرى أن هيئة تحرير الشام لم تسعى لقبول اجتماعي كبير بعد عن طريق القيام بمراجعة رئيسية لسجلها لحقوق الإنسان. الهدف الثاني، وهو الدخول في اللعبة الجيوستراتيجية، دفع الجماعة إلى دعم استراتيجية تركيا في توفير الملاذ الآمن على أمل أن يتحول التعاون على الأرض على المدى الطويل إلى علاقة استراتيجية مع جارتها الشمالية، والمعرّفة الآن باعتبارها "حاميًا". سيسمح هذا بعد ذلك لهيئة تحرير الشام بالسعي إلى التوافق مع الغرب على بناء على المصالح المشتركة، مثل معارضة النظام وإيران، والرغبة في إدارة السكان محليًا وتجنب تدفق اللاجئين.

ومع ذلك، فإن الجولاني ليس لديه رؤية واضحة حتى الآن لنهاية اللعبة، ولا دور هيئة تحرير الشام فيها.[171] هذا هو الحال لسببين. بادئ ذي بدء، تتشكل رؤية جولاني من خلال إستراتيجية البقاء. إن الرؤية الإستراتيجية طويلة المدى من الصعب بطبيعتها أن تكون تجميعية، لأن هيئة تحرير الشام تتكيف باستمرار مع الظروف قصيرة المدى. لكن الغموض له مزاياه أيضًا. إن عدم توضيح شروط رؤية واضحة لنهاية اللعبة يسمح للجماعة بإدارة

---

[168] مقابلة، إدلب، مايو 2019

[169] مقابلة، إدلب، يوليو 2020

[170] مقابلة مع أبو محمد الجولاني، إدلب، يناير 2020

[171] قال "كيف يمكننا التخطيط على المدى الطويل وعندما لا نعرف من سيحتفظ بهذه الأراضي في غضون بضعة أشهر من الآن؟" (مقابلة، ديسمبر، 2020).

تناقضاتها وإرضاء الفئات الأكثر تشدداً التي تقاوم محاولات فتح العلاقات مع تركيا وخارجها مع الدول الغربية.[172]

من وجهة النظر هذه، فإن رؤية الجولاني هي ثيرموديرية. بمعنى أن الزعيم الذي يعرف نفسه بـ"الإسلامي الثوري" لم يعد يؤمن بالخلاص من خلال العمل الثوري فقط، ولكن من خلال الدعم من القوى الخارجية. لقد قام بتبني موقف الانتظار والترقب والذي يعكس مبدأ المرونة، والاعتماد على القوات الأجنبية، والذي (أي الوقف) هو موجّهٌ داخليًا، حيث أنه يعطي أولوية للحكم وإدارة المناطق. إن الاستيلاء على دمشق في الواقع لم يعد هو الهدف المباشر. إن الجولاني لم يعد يرى توازن القوى الداخلي وحده دافعًا محتملاً للتغيير في النظام السياسي في البلاد.

3- استعادة الماضي: إعادة انتاج الإسلام السياسي

تتيح القراءة الثيرميدورية أخيرًا إعادة التفكير في مسار هيئة تحرير الشام ضمن تاريخ التيار السلفي الجهادي. من وجهة النظر هذه، يعتبر الثيرميدور إعادة انتاج للإسلام السياسي السائد. "البراغماتية" أو "اعتدال" الجماعة يظهر التغلب التدريجي على التركيب السلفي الجهادي من خلال الرفض الضمني لمصطلحيه. تم تبسيط العقيدة السلفية لأنها لم تعد تنطوي على أية وصفة سياسية محددة. أصبح الجهاد مجرد دفاع كلاسيكي عن الأراضي التي يسيطر عليها الثوار، وهو أمر لا يمكن تمييزه عن الموقف الذي يتبناه الثوار المحليون غير الجهاديين. تعيد هيئة تحرير الشام بشكل عام تبني خط سياسي مشابه للإخوان المسلمين بعد الربيع العربي. كيف تم تجاوز التركيبة السلفية الجهادية؟ ماذا يخبرنا عن الهوية الحالية للجماعة؟ الإجابة عن هذا السؤال تعني فهم كيف ولماذا أعادت السياسة فرض نفسها على الاعتبارات الدينية.

من الضروري إلقاء نظرة سريعة على مسار الحركات الجهادية منذ توسعها خلال الجهاد الأفغاني في الثمانينيات. كانت الجماعات الجهادية الأولى في مصر وسوريا تتبنى مشروعاً سياسياً. كان سبب وجودهم هو معارضة مسلحة للأنظمة المهيمنة على العالم العربي. لم

[172] ظهر هذا التوازن الدقيق في بيان أبو عبد اللّه العلني بعد لقائنا في يناير 2020: أيمن جواد التميمي، "أبو عبد اللّه الشامي من هيئة تحرير الشام في لقاء المحللين الغربيين"، Pundicity، 10 مارس 2020 ، https: //bit.ly/2K4E5Z3

يتحول الخطاب الجهادي السلفي إلى التطرف إلا في وقت لاحق، خلال نهاية الحرب في أفغانستان وفي التسعينيات عندما اشتد التنافس بين الجماعات المسلحة وتزايد تأثير المفكرين الجدد مثل أبو قتادة الفلسطيني وأبو محمد المقدسي. وخروجا عن إرث الإخوان المسلمين، فقد دمجوا الخطابات السياسية المبكرة للجماعات الجهادية بشكل أكثر شمولاً في الإرث السلفي وبدأوا بإعادة التأكيد على تقديم الاعتبارات الدينية على المنطق السياسي.

نتيجة للبيئة التنافسية أصبح التيار الجهادي أكثر طائفية، خاصة أثناء الحرب في العراق. وشهدت هذه الطائفية تعزيز بُعدها المذهبي من خلال توسيع نطاق تطبيق الإخراج من الملة (التكفير) ضد الشيعة وضد جزء من المسلمين السنة أنفسهم. إن استقطاب فئة "المسلمين" ضد "الأعداء" أدى إلى تهميش المنطق السياسي وجعلتهم يرفضون إمكانية لحصول تحالفات. في العراق، سمح غياب الفضاء السياسي، والتطرف الطائفي، والاستقطاب الكبير بسبب الهوية، بأن يهيمن المنطق العقائدي للسلفية على التصرفات الأساسية للتيار الجهادي السني المتشدد في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين: إن النزعة الإقصائية المهيمنة أظهرت الحاجة إلى التسوية أو التحالف والذي كان غائبًا أو مهمشاً بقوة.

فرض الربيع العربي واقعا مختلفا تماما: الانتفاضات لم تهيمن عليها الطائفية حتى لو كان هناك مكون طائفي. عندما غادر الجولاني العراق وذهب إلى سوريا، أدرك أن التمرد السوري كان فرصة للحركة الجهادية، لكنه أدرك أيضًا أن هناك ضوابطاً. إن منطق الانتفاضة الجماهيرية يتطلب إعادة تأهيل السياسي. وفي حديثه عن معضلات جبه النصرة آنذاك، اعتبر أبو عبد اللَّه الشامي أنه "*أمام ما كان حركة جماهيرية كنا ندرك أنه لا يمكننا فرض البيعة على جميع الثوار وحشر شعب بأكمله في تنظيم واحد. لن نكون قادرين على الهيمنة، وكان علينا أن نوافق على إقامة تحالفات* ".[173]

في النهاية، تركز الخلاف بين البغدادي والجولاني تحديدًا على جدوى الأطروحة السلفية الجهادية في سياق يُعاد فيه فتح الفضاء السياسي بعد ديناميكية ثورية جماهيرية. بالنسبة لأبو بكر البغدادي، كان من الضروري الحفاظ على الأطروحة السلفية الجهادية التي نُظِّرت في التسعينيات ونُفِّذت في العراق في العقد الأول من القرن الحادي

[173] مقابلة، إدلب، يونيو 2019

والعشرين. لا يمكن أن يعاني المشروع القياسي من التنازلات حيث تصل الحرب لنهايتها: "اللَّه أمرنا بالجهاد لا بالنصر"، وفقاً للزعيم السابق لتنظيم الدولة الإسلامية أبو بكر البغدادي.[174] بدافع "الغاية العقلانية"، يسعى الجولاني في المقابل إلى تجاوزه من خلال إعادة التأكيد على تقديم العقلية السياسية على الاعتبارات الدينية. ومع ذلك، فهذه ليست عودة من قبل الجولاني لرحم القاعدة وأسلافها. في الواقع، إنها تتجاوزها كذلك، ليس – أو ليس فقط – عن طريق التمزق المؤسسي ولكن بالابتعاد عن الركيزة التي أسست القاعدة بشكل محدد: الجهاد العالمي.

في البداية، لم تكن إعادة تأهيل العقلية السياسية قضية خلافية. بين عامي 2012 و2018، اقتصرت اللعبة السياسية في الواقع على لعبة التحالفات مع الجماعات الإسلامية. إن الذي دفع للبحث عن تحالفات كان فكرة تشكيل جبهة إسلامية مقابلة للمنافسين الأقران (أحرار الشام، صقور الشام، لواء التوحيد) بدلاً من الانفتاح الشامل على الطيف الثوري بأكمله.[175] ثانيًا، تغير حجم اللعبة السياسية. لم تعد هيئة تحرير الشام تتطور فقط في مجال الثورة. إنها الآن منخرطة في لعبة استراتيجية دولية أكبر. تهدف هيئة تحرير الشام الآن إلى الانفتاح على الدول، تركيا بداية ثم بعدها على المعسكر الغربي. هذا الموقف الجديد يخلق توترات داخلية. وتصر الجماعة على أن التزامها بالأسس، بما في ذلك واجب الجهاد والمرجعية الشرعية لم يتغير.[176] لكنها تواجه الآن انتقادات داخلية وخارجية متزايدة بأنها تتميع تجاه هذه الأسس.[177]

وصل منعطف الحركة بعد ذلك إلى نقطة الانهيار التي لم تعد تسمح لنا باعتبار أن ما نشهده يتوافق مع تعديل بسيط داخل الحركة السلفية الجهادية من خلال العودة إلى النموذج الأولي. لقد تم الإعلان عن القطيعة مع القاعدة في عام 2017، لكنها تحققت بالفعل خلال عام 2019 عندما عبرت هيئة تحرير الشام بوضوح عن رغبتها في التقارب مع المعسكر

---

[174] فيديو بتاريخ 29 أبريل 2019. متاح على: https://bit.ly/3926Tdx

[175] محاولات توحيد الجماعات الإسلامية كان يقودها أولاً أحرار الشام. جبهة النصر تحالفت معها من خلال هياكل الحكم المحلي، كما هو الحال في حلب، وغرف العمليات العسكرية مثل جيش الفتح.

[176] هيئة تحرير الشام، "الجهاد والسياسة الشرعية بين الثوابت والمتغيرات". ثورة الشام لن تموت، 2018، مأخوذ من قناة التلغرام التابعة لهيئة تحرير الشام.

[177] أبو فتح الفرغلي، 2019، https://bit.ly/36PZkHa. انظر أيضًا سام هيلر، "قصة أبو قتادة الفلسطيني: ذكر أبو قتادة الفلسطينيي بالمخاطرة بأن الحب للسياسة يرقى في النهاية إلى خيانة السبب الأول للجهاد"، تويتر، 3:23 مساءً، 22 فبراير 2020.

التركي والغربي ضد المحور الروسي الإيراني، وتبنت تحرير الشام بشكل فعال استراتيجية الملاذ الآمن تحت الحماية التركية، حيث دعتهم القيادة العامة للقاعدة بعدم الانصياع لإغراء القُطرية والعودة إلى استراتيجية حرب العصابات الشاملة،[178] وذلك قبل الدخول في مواجهة مباشرة مع القاعدة في تموز 2020.

إن الاستراتيجية الحالية ليست بعيدة كل البعد عن الموقف الذي تبنته جماعة الإخوان المسلمين في المنطقة طوال عقد التغيير الذي بدأه الربيع العربي في 2011.[179] وقد تشكل هذا النهج من خلال إرساء الوقائع على الأرض، والحفاظ على المراجع التراثية، وقبول التنوع في المجال – السني – الديني مع الحرص على الهيمنة على الفضاء السياسي. هذا في المحصلة سيمهد الطريق لتموضع أقوى في اللعبة الاستراتيجية ضد الأعداء الحاليين، إيران وروسيا وبشار في سوريا والسيسي والسعودية والإمارات في مصر. من وجهة النظر هذه، لا يمكن اعتبار هيئة تحرير الشام سلفية بالمعنى التقليدي، أو جهادية بالمعنى الدقيق للكلمة.

وهكذا، من دون أن يصبحوا إخوانًا مسلمين حيث أنهم لا يتبنون أيديولوجيتهم، فإن هيئة تحرير الشام تتولى نهجهم الاستراتيجي لسببين. أولاً، بعد عام 2018 والمشاركة التركية المباشرة والمتزايدة باستمرار في إدلب، فإن هذا هو الخيار الاستراتيجي الوحيد الذي لا يزال متاحًا. ثانيًا، لأن انهيار أحرار الشام، وكذلك انهيار الإخوان المسلمين في جميع أنحاء العالم العربي – باستثناء تونس – منذ 2013 وانفصال قطر عن المشهد السوري فتح مساحة سياسية لهيئة تحرير الشام في نفس اللحظة التي سعى فيها الأخير إلى تحرير نفسه من إرث السلفية الجهادية. من وجهة النظر هذه، فإن ما نواجهه الآن هو إعادة ابتكار شكل جديد للإسلام السياسي. عندما قال أبو محمد الجولاني إن حركته تقترب بشكل أقل من السلفية الجهادية مما تفعل باتجاه "الإسلاموية الثورية"[180]، لم يعن أبو محمد الجولاني شيئًا آخر. تشغل هيئة تحرير الشام الآن الحالة السياسية للتنظيمات الشبيهة بالإخوان المسلمين وهي إلى حد كبير تطبق استراتيجيتهم.

---

[178] قاعدة الجهاد، "صيحة نفير وصرخة التحذير"، 2019، مأخوذ من قناة تلغرام تابعة للقاعدة.

[179] القيادة لا تعارض المقارنة بشكل مباشر، بل تعيد التأكيد على الاختلافات بينها: غياب البعد المعادي لإيران بين الإخوان، وتقديس التنظيم بين الإخوان، والاعتراف بالمدارس الفقهية في هيئة تحرير الشام، وعالمية حركة الإخوان في مواجهة محلية هيئة تحرير الشام (مقابلات مع قيادات سياسية ودينية، تموز / يوليو 2020). أضاف باحث إلى ذلك العلاقة بالديمقراطية التي قبلها الإخوان ورفضتها هيئة تحرير الشام (مقابلة، اسطنبول، تشرين الثاني / نوفمبر 2020).

[180] مقابلة، يناير 2020

لذلك، لا يزال الحفاظ على النهج الجديد لهيئة تحرير الشام يعتمد بشكل كبير على إبقاء الموقف الإستراتيجي الذي تحتله هيئة تحرير الشام اليوم – ملاذ تركي محمي يمكن لهيئة تحرير الشام أن تلعب فيه دور المهيمن المحلي. بدون ما سبق، يمكن أن تتحول ديناميكية التغيير بسهولة إلى تمرد مسلح سري آخر – كما يسميها الظواهري – أو إعادة الاتصال بديناميكيات الجهاد العالمي في حالة حدوث تدفق جديد للمهاجرين أو مجرد نكاية في حالة فشل الدور الثيرميدوري الذي تلعبه قيادة هيئة تحرير الشام.

الخلاصة: إنهاء "الحروب التي لا نهاية لها" يعني فضاء مفتوح للإسلام السياسي

يبدو أن هيئة تحرير الشام هي الجهة الوحيدة القادرة على تطوير وتنفيذ استراتيجية متماسكة لمكافحة الجهاد العالمي، بما في ذلك فلول القاعدة وشبكات تنظيم الدولة الإسلامية. نجحت المجموعة في الجمع بين الضغط السياسي والاحتواء والتهديدات والسيطرة على الأراضي والاعتقالات والتعاون والاحتواء. "*الطريقة الوحيدة للتعامل مع الجهاديين العالميين هي الاعتماد على الجهاديين المحليين*"، هكذا علق باحث سوري متخصص في السلفية دون سخرية.[181] في المقابل، فإن الدول الغربية، وخاصة الولايات المتحدة، غير قادرة على التفكير في مكافحة الإرهاب بخلاف نموذج الضربات البعيدة. قد تكون الاستجابة العملياتية الفورية الوحيدة لمشكلة البيئة الجهادية العالمية التي تقدمها هيئة تحرير الشام بدائية وليست مثالية. لكن يبدو أن هذا يمثل مخاطرة منخفضة بالنسبة للدول الغربية حيث من غير المرجح أن تتحول طبيعة هيمنة هيئة تحرير الشام إلى إمارة صغيرة متطرفة. يحتوي تجزئة الهيمنة الحالية، وليس تعزيزها، على البذور الرئيسية للإعادة المحتملة للتطرف.

لقد خدمت هيئة تحرير الشام في الواقع – في سعيها لتحقيق أهدافها الخاصة – المصالح الغربية بطرق مختلفة. هزمت داعش على أراضيها على الرغم من المحاولات القوية لإعادة بناء شبكات داعش بعد استيلاء قوات سوريا الديمقراطية على الباغوز.[182] بعد مرحلة الاحتواء، قامت هيئة تحرير الشام بعد ذلك بتفكيك شبكات القاعدة ودفعها تحت الأرض وخفضت بشكل كبير من قدرتها على تسليط القوة داخليًا وخارجيًا. أخيرًا، سمحت هيئة تحرير الشام لتركيا – في الوقت الحالي – بوضع استراتيجية ملاذ، تحافظ على المناطق التي تسيطر عليها المعارضة خارج سيطرة النظام وتنزع فتيل موجة جديدة من اللاجئين إلى تركيا وأوروبا – مع كل المخاطر الأمنية المرتبطة بسيناريو تدفق اللاجئين هذا. أخيرًا، يوفر تحولها الثيرميدوري إمكانية حل مشكلة أنها تعتبر نفسها منظمة جهادية متشددة سابقة.

---

[181] مقابلة، أسطنبول، يوليو 2020

[182] مقابلة مع قادة عسكريين، إدلب، يوليو 2020

للوهلة الأولى، فإن السيناريو مثالي: تتبنى منظمة راديكالية إطارًا مرجعيًا ثوريًا سائدًا إلى حد ما، وتحيد آخر بقايا القاعدة وداعش، وتهمش العناصر الأكثر تشدداً داخل صفوفها، وتسعى إلى التوافق مع الغرب مع إبداء الاهتمام في حوار ومفاوضات حول التطبيع مع الآخرين. الرهانات تفوق كثيرا قضية إدلب: "*إن قرار أي فرع من فروع القاعدة بالانفصال عن القاعدة سيتحدد بشكل حاسم من خلال نجاح أو فشل التجربة السورية* "، يقول المفتي السابق للقاعدة، محفوظ ولد الوالد. "*إذا نجحت تجربة الانفصال عن القاعدة وتم دعمها، واعتبرت هيئة تحرير الشام أحد فصائل المقاومة وليس فرعاً للقاعدة، فإنها ستشجع الفروع المحلية الأخرى في أماكن أخرى على القيام بذلك. ولكن إذا تم رفض التجربة واستمروا في اعتبارها منظمة إرهابية، فإن الباب سيغلق. وهناك الآن أصوات تطالب في سوريا بإعادة النظر في قرار فك الارتباط بالقاعدة، وتطالب بالعودة إلى القاعدة لأن الانفصال لم يحقق أي نتائج*[183] ".

في مواجهة الفرصة لتشكيل وتعزيز التحولات الجارية، تماطل الدول الغربية على الرغم من وجود أدوات نفوذ حقيقية لتوحيد وتوجيه التغييرات الجارية. الدول الغربية لديها أدوات مختلفة تحت تصرفها. يمكنهم إزالة الجماعة من قوائم التصنيف، وفرض شروط على الدعم المقدم للاستقرار، والتعامل مباشرة مع الجماعة. وكما صرح زعيم فصيل منافس في الجيش السوري الحر، فإن "*هيئة تحرير الشام هي الآن نسخة سلفية خفيفة. يجب أن يكون هناك مقاربة متعددة المداخل لأنه لن يكون هناك حل عسكري لها. نعم، ربما نحتاج إلى التفكير في حلول أمنية لبعض المكونات الصعبة التي لا تزال في المنظمة، لكن علينا أن نتوصل إلى تفاهم مع الجولاني ونختبره ونعيده إلينا. من المهم دعم خط الجولاني. خلاف ذلك، هناك خطر حقيقي من أنهم سوف يتطرفون. إذا لم نمنحهم فرصة، سيكون لدينا شيء أسوأ* ".[184]

لا تزال الدول الغربية مترددة في التعامل بسبب الآثار السياسية للتعامل مع فرع سابق للقاعدة وكذلك التوترات المستمرة مع تركيا. ثم هناك الجمود الذي تحمله المقاربات

---

[183] قناة الآن، "أبو حفص للآن نيوز: بمبايعته للقاعدة، الجولاني يعرّض المدنيين للأذى"، يوتيوب، 28 ديسمبر 2016، https://bit.ly/3lXH7LY

[184] مقابلة، أسطنبول، سبتمبر 2020

الفنية لمكافحة الإرهاب،[185] حيث الهوس بتدمير ما يسمى بالجماعات الجهادية بضربات الطائرات بدون طيار مع الحفاظ على الحد الأدنى من التواجد البشري على الأرض: "*عندما يتم تحجيم مكافحة الإرهاب لتتحول إلى عملية مطاردة بحتة، فإننا لا نتحكم في نتائج وآثار استهداف القيادة، النتائج غالباً ما تكون سلبية. حيث يتصدر قادة أقل خبرة وأكثر تشدداً. في المقابل، فإن القليل من المقاربة التفاوضية يسمح لنا بالتحكم بالنتائج وبشكل أفضل* "، قال قائد عسكري غربي.[186]

إن الهوس بإدراج وتصنيف الإرهابيين يُظهر بشكل كبير أثرا عكسيا. تصنيف الجماعات يعد إشكالية. على الرغم من أن تهديد الجماعات بالإدراج في قائمة الإرهابيين يمكن أن يكون رادعًا مفيدًا، إلا أنه يحد في النهاية من قدرة الدول على التأثير على المتمردين الذين يغريهم تغيير المسار لأنه يحد من قدرة الدول على المشاركة وممارسة النفوذ عليهم. يصبح الموقف بعد ذلك مكرراً وبشكل خطير قصير المدى. التفاوض مع فاعل راديكالي مهتم بالتغيير مرفوض بسبب إدراج هذا الفاعل ضمن قوائم الإرهاب ولأن هذا التفاعل يصبح مكلفاً. إن الدول تخاف من مزيج من الرأي العام المحلي، والاستغلال السياسي، وردود فعل الدول الأخرى. ولا يمكننا ضمنياً تجاهل العواقب المحتملة لعدم التفاعل معه، ولا سيما خطر الانتشار وإعادة التطرف الذي قد يثيره.[187]

عندئذ يكون الشلل تامًا. فقد عبر بانزعاج دبلوماسي أمريكي مهتم بهذه المسألة بأنه "*عندما أثير هذه القضية مع زملائي، فإنه يصعب تبرير تحويل منظمة إرهابية إلى شيء آخر. نحن لا نحدد مسارًا لخصومنا لإعادة تأهيل أنفسهم. لماذا قد نفعل ذلك؟* ".[188] وبالنسبة إلى باحث غربي، متخصص في مكافحة الإرهاب ومتخصص في المنطقة، "*إن الولايات المتحدة والغرب قد سيطر عليهما نموذج مكافحة الإرهاب وهما عالقان في وضع أمسك الـ22؛ يُنظر إلى هيئة تحرير الشام على أنها إرهابية ولكنها لا تشكل تهديدًا كافيًا لاتخاذ إجراءات (بالنسبة للولايات المتحدة) ومعضلة بما يكفي لشل قدرة الاتحاد الأوروبي على اتخاذ قرار، والذي لم يكن*

---

[185] Grégoire Chamayou، Théorie du Drone (Paris: La Fabrique 2013).

[186] مقابلة، بركسل، أغسطس 2020

[187] "بشكل عام، المشكلة تكمن في تهميش إدلب مقارنة بمسارح التدخل الدولي الأخرى: ليبيا، مستقبل لبنان، كوفيد. لم يعد يُنظر إلى إدلب على أنها تهديد. خطأ! ولسوء الحظ، في فلسفة " سنرى عندما نصل إلى هناك لكن الأوان سيكون قد فات "! (مقابلة مع قائد عسكري غربي، بروكسل، أغسطس 2020).

[188] مقابلة مع دبلوماسي أميركي، واشنطن، أكتوبر 2020

لديه مسبقاً أي رؤية يقدمها. تصنيف التنظيمات هي الخطوة الأقل فاعلية والتي يمكن لدولة القيام بها؛ إنه يجعل الضربات هي الطريقة الوحيدة للتصرف، والتي بشكل عام تأتي بنتائج عكسية بينما تؤدي إلى فقدان فرص حقيقية ".[189]في الواقع، وفي هذا السياق من (عدم تسييس) مكافحة الإرهاب وجعلها تقنية جدا، "*نحن نشن الحروب دون أن نتساءل عما سيحدث بعد ذلك. عندما تلوح الحروب فقط في الأفق، فإنها تصبح حربًا لا نهاية لها. لم يعد الغرب يعرف كيف يغتنم الفرص. لم يعد هناك رابط بين العمل المباشر على الأرض والسياسة. لم نعد قادرين على ربط العمليات بهدف سياسي* ". تم فقدان القدرة على التفاوض وعقد الصفقات السياسية، مع أنها في العادة تكون الحل الوحيد مع الجماعات التي لا ينجح الغرب في القضاء عليها. تمرد طالبان يظهر ذلك. حيث تحول برنامج مكافحة الإرهاب ضد طالبان إلى عملية لإدارة التهديدات المباشرة. إنه فاشل. بينما كان لدى القاعدة بضع مئات من الأعضاء في فجر 11 سبتمبر 2001، ارتفع العدد بشكل جنوني في العشرين سنة الماضية.[190]لأن التفكير فقط من حيث الهزيمة العسكرية لا يجدي، فقد صرح مختص غربي في مجال مكافحة الإرهاب "*سيكون في ظروف معينة مفيدًا وأكثر فاعلية أن نعكس المنظور وأن يتم النظر إلى هذه الجماعات ليس على أساس ما هي عليه ولكن حول ما يمكن أن يصبحوا عليه وخلق فرص للتحول لتحقيق هذه الغاية* ".[191]

القضية إذن هي طبيعة التغيير. يظهر التحول الثرميدوري لهيئة تحرير الشام مجموعة العوامل التي تعزز تحول المجموعات المسلحة. وتظهر كذلك ضرورة إيجاد مخرج للجماعات الجهادية. من الواضح أن الثمن الذي يجب دفعه مقابل إزالة التطرف عن الجماعات السلفية الجهادية هو فتح المجال لأنواع أخرى من التنظيمات، بما فيها تلك التي على شاكلة الإخوان المسلمين. بغض النظر عن الاختلافات الأيدولوجية بينهم، فإن إعطاء فرصة لهذه الأخيرة لتحقيق التغيير السياسي سيؤدي لتغيير حسابات الأولى.

---

[189] مقابلة عبر واتساب، أغسطس 2020

[190] "على الرغم من النفقات المقدرة بـ 6.4 تريليون دولار والنجاحات في قتل وإلقاء القبض على الإرهابيين، فإن الحقيقة المؤسفة هي أن النهج الذي يهيمن عليه الجيش والذي ميز جهود مكافحة الإرهاب الدولية منذ 11 سبتمبر لم يؤد إلى انخفاض التهديد الإرهابي العالمي. كان عدد المقاتلين الإسلاميين المتطرفين في عام 2018 أعلى بنسبة 270 بالمائة عن عام 2001 Eric Rosand and Richmond Blake, "We Must Rebalance the State Department's Lopsided Counterterrorism Strategy," *The Hill*, 8 March 2020, https://bit.ly/3ovdHXm; See also Seth Jones, "The Evolution of the Salafi-Jihadist Threat," *Centre for Strategic International Studies*, 20 November 2018, https://bit.ly/33TSzlN

[191] مقابلة، بركسل، يوليو 2020

تفتح المقاربة السياسية لمكافحة الإرهاب بشكل آلي مسألة المشاركة السياسية للحركات الإسلامية الرئيسية المرتبطة بالإخوان المسلمين والتي أثبتت تفاعلها مع البيئة المؤسسية للمشاركة السياسية. في حالة الجماعات الجهادية، فإن البيئة المؤسسية ليست ببساطة محلية، حيث إنهم يسعون لتغيير الأنظمة المحلية، بل دولية. تتشكل آلية التعامل مع الجماعات الجهادية من خلال سياسات مكافحة الإرهاب وسياسات الحوار الغربية، ومع مرور الوقت وأثناء تقدم العمل، من خلال تسويات سياسية تفاوضية. الأمر الذي يعيد الدول الغربية إلى مركز اللعبة. فبدلاً من أن يحدث صدود وتعثر بسبب مواقف متعنتة، هناك حاجة للتفكير في التفاعل المشروط القادر على إعادة توجيه التنظيمات التي تسعى إلى التطبيع. لكن التطبيع يجب أن يكون له ثمن. فالأمر الواقع والمصالح المشتركة مع الدول الغربية ليست كافية لتبرير التفاعل مع الجماعات الجهادية. يمكن للدول الغربية أيضًا أن تفرض معايير أساسية لحقوق الإنسان، والشمولية، وشفافية القضاء، وعدم التدخل في الشؤون الإنسانية.

التفاعل المشروط مهم. إنه الطريقة الوحيدة للتأكد من أن هيئة تحرير الشام تحارب داعش والقاعدة، أثناء احتوائها لأقاليم المعارضة. ولكنها ستضمن أيضًا قبولًا أفضل على الصعيدين الدولي والمحلي. على الصعيد الدولي، فإن هذا يعني تهيئة الظروف في قضيتين رئيسيتين: سجل هيئة تحرير الشام لحقوق الإنسان من جهة، وتوضيح رؤيتها طويلة المدى لحل سياسي في سوريا. على الصعيد المحلي، هناك حاجة لزيادة مشاركة الوسط الثوري –والذي كان قد بدأ على المستوى العسكري– في المجال المدني وإعادة تأهيل جزء من العناصر السياسية النابضة بالحياة من المجتمع المدني.

التفاعل المشروط ليس حلاً سحريًا. إذا كان تحول الجماعات الجهادية يستلزم تجديد الإسلام السياسي، فسيكون ذلك مكلفًا من الناحية السياسية. وبنفس القدر من الأهمية، فإنه لا يقدم إجابة شاملة على سؤال التهديد الراديكالي المطروح من قبل الجماعات الغير جاهزة للتفاعل. قد تظل بعض المجموعات مقتنعة بالجهاد العالمي أو مرتبطة جدًا بالشبكات التابعة للقاعدة لكي تنأى بنفسها عنها. لكن تقديم حلول تفاوضية ومشروطة لأولئك المستعدين أن يتخلوا عن التيار السائد، يعني أيضًا في نهاية المطاف تقليل النطاق

الواسع للغاية من مسارح العمليات العسكرية. بدلاً من إرهاق أنفسها في "حرب لا تنتهي"[192] ستكون الدول الغربية قادرةً على اختيار معاركها بشكل أفضل.

[192] Bruno Tertrais, *La guerre sans fin, l'Amérique dans l'engrenage*, (Paris: Seuil, 2004).